الفصل الثالث

المسيح عليه السلام بعد مولده

ولادة المسيح

ولد السيد المسيح كباقي البشر حيث أن أمه حملته في رحمها حتى أذن الله له بالولادة والخروج إلى الوجود.

وفي قصة ولادته اختلافات كبيرة بين ما جاء في إنجيل لوقا وبين ما جاء في القرآن الكريم وهذا الاختلاف يؤدي إلى مناقشة قضايا هامة تعتبر أساسيات في العقيدة وفي شخص المسيح نفسه عليه السلام.

جاء في إنجيل لوقا: (وبينما هما فيها حان وقت ولادتها فولدت ابنها البكر فقمطته وأضجعته في مذود لأنه لم يكن لهما موضع في المضافة) لوقا ٦-٧.

وفي طبعة أخرى من الإنجيل جاء في لوقا: (وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل) لوقا الإصحاح ٢: ٦ وجاء في تتمة القصة: وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرية يتناوبون السّهر في الليل على رعيتهم. فحضرهم ملاك الرب وأشرق مجد الرب حولهم فخافوا خوفاً شديداً فقال لهم الملاك «لا تخافوا ها إني أبشركم بفرح عظيم يكون فرح الشعب كله. ولد لكم اليوم مخلص في مدينة داود وهو المسيح الرب وإليكم هذه العلامة. ستجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود. وانضم إلى الملاك بغتة جمهور الجند السماويين يسبحون الله المجدُ لله في العلى والسلام على الأرض للناس أهل رضاه) لوقا الفصل الثاني ٨-١٤.

بينما جاء في نسخة أخرى من إنجيل لوقا: وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجدُ

الرب أضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً. فقال لهم الملاك لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب. وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود. وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين الحمد لله في الأعالي. وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة) لوقا إصحاح ٢: ٨-١٤.

ويقول القرآن الكريم: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم/ ٢٤ – ٣٣].

ففي إنجيل لوقا: عندما ولدت مريم كان معها المدعو يوسف وهو خطيبها حسب النص الإنجيلي ولم تتعرض مريم لمخاض وألم ولم تختف خلف جذع النخلة خوفاً من الفضيحة.

ثم جاء ملاك الرب إلى رعاة وبشرهم بولادة المسيح فذهبوا ليروا المولود فإذا هو مقمط وقد وضعته أمه في مذود.

فمريم التي جاءها المخاض وهو على قول النساء من أصعب الآلام التي تتعرض لها المرأة الحامل عاشت التجربة فقالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً

منسياً. بينما في إنجيل لوقا فإن مريم لم تتعرض لذلك الألم مطلقاً. وكأن الأمومة ليست في نطاق ذلك الإحساس بولادة المولود.

ويرافق رجل اسمه يوسف مريم وتلد ابنها وهو معها. فإذا كانت مريم من البداية اعتزلت أهلها خوفاً من أن يظهر الحمل عليها فكيف تصطحب يوسف معها لتلد بوجوده قد يقول أتباع النصرانية إن يوسف نزل عليه الوحي وهو نائم ونبهه أن لا يترك خطيبته مريم لأنها طاهرة وستلد ابناً من الروح القدس. واقتنع بذلك بعد أن شكك بمريم وكاد أن يتهمها بالزنى لولا رؤيته للوحي في منامه.

ولم يتعرض القرآن لوجود رجل مع مريم عند حملها وعند ولادتها. إذ ليس هناك من داعٍ لوجوده لأن المعجزة الإلهية تشهد على نفسها ولا تحتاج لشاهد عليها. ويكفي نطق المسيح في المهد ليكون أحد أهم الشواهد على ولادة المسيح المعجزة.

ثم إن وجود يوسف مع مريم أوحى للجميع أنه زوجها وأن الولد هو ولده من دمه ولحمه وليس هو معجزة إلهية. وقد ظن الكثيرون وما يزالون يظنون أن مريم كانت زوجة يوسف وأن المسيح هو ابنه بالجسد وابن الله في الروح.

أما قصة وضع المسيح في مذود مقمطاً فإنها تستوقفنا كثيراً إذ أن القرآن الكريم لم يأتِ على ذكرها. بينما جاء ذلك واضحاً في إنجيل لوقا.

وقد رأى الكثيرون من الباحثين أن هذه القصة.. قصة وضع المسيح في مذود قد استُعيرت من ديانات أخرى وأساطير شعبية متعددة المصادر.

فعند الوثنيين الهنود ولد كرشنا في غار وبعد ولادته وضع في حظيرة غنم ورباه أحد الرعاة الأمناء.

وهوتسي ابن السماء عند الصينيين تركته أمه وهو صغير وأحاطت البقر والغنم به وحمته من كل سوء باعتناء تام.

وباخوص ابن الإله المولود من العذراء سميل ولدته أمه في غار ويقال إنها ولدته في مكان آخر ومن بعد ولادته أتت به إلى الغار.

وقال فيلوستراتس الخطيب اليوناني السفسطائي يقول أهل الهند إن باخوص ولد بنيسا وربي في غار بجبل مروس.

وسكولا بيوس ابن الإله المولود من العذراء كوردنيس تركته أمه حينما وضعته بالجبل ووجده راعي معز فرباه واعتنى به.

وروبولس ابن الإله المولود من العذراء ريا سلفيا تركته أمه وهو طفل على ضفة نهر التيبر ووجده الرعاة فربوه واعتنوا به[1].

وجاء في إنجيل لوقا: أنه انضم إلى الملاك بغتة جمهور الجند السماويين يسبحون الله. وقد جاء في كتاب فشنو بورانا ما نصه: كانت العذراء ديفاكي حبلى بحامي العالم مجّدها الآلهة ويوم ولادتها عمت المسرات وأضاء الكون بالأنوار وترنمت آلهة السماء ورتلت الأرواح ولما ولد (عون الجميع) شرعت الغيوم ترتل بألحان مطربة وأمطرت أزهاراً.

ومثل هذا يقولون عن ولادة بوذا وأنه أسمع سكان الأرض أنغام موسيقى مطربة وأمطرت السماء أزهاراً وعطراً وهب نسيم لطيف وأضاء نور عجيب. وقال فونبهنك: وصارت الأرواح التي أحاطت بالعذراء مايا وابنها المخلص تسبح وتبارك الواحد وتنشد (لك المجد أيتها الملكة مايا فافرحي وتهللي). وهذا يدل على أن كتّاب الأناجيل استوحوا كثيراً من الأساطير والمقولات التي كانت لدى الشعوب عند تدوينهم للإنجيل. ومن الطبيعي أن الثقافة الرومانية حملت في جنباتها الكثير من ثقافات الشعوب خاصة تلك الثقافة المرتبطة بالأساطير والملاحم.

---

(١) المرحوم محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٢٣

على أية حال، فالذي أورده إنجيل لوقا لا يحوي الكثير من عناصر الحدث، حدث ولادة المسيح عليه السلام، فبعد أن وضعت مريم طفلها في المذود ومجيء الرعاة إليها ينتقل الإنجيل إلى الحديث عن ختان الطفل بعد ثمانية أيام من ولادته.

وإذا عدنا إلى النص القرآني نرى الاختلاف واضحاً.

فالقرآن الكريم يقول: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾. مريم ٢٧-٣٠

فالواضح في النص القرآني أن مريم عندما ولدت السيد المسيح أُمرت من قبل الوحي أن تذهب إلى أهلها وكان جبريل قد علمها أن لا تتكلم ولذلك أشارت إليه دون أن تقول شيئاً. فقد نذرت للرحمن صوماً فلن تكلم أحداً من الناس.

وكان جواب أهلها كيف نكلم من كان في المهد صبياً. ومن الطبيعي أن يتساءلوا بدهشة لأنه لم يقع أن تكلم أحد وهو ما يزال ابن يومه.

وهنا تتجلى المعجزة الإلهية في أعلى درجاتها حين نطق هذا الطفل وقال: إني عبدالله وهذه أول كلمة نطق بها السيد المسيح بوحي من الله ليبدأ مسيرته كنبي وكعبد لله وليس كابن إله أو إله. ولعل ذلك أبلغ حجة في دحض المزاعم التي دسها اليهود في العقيدة النصرانية عند قولهم بألوهية المسيح.

ونتابع النص القرآني فيقول: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

[مريم/ ٢٩-٣٣]

١ ـ فهو عبدالله وليس إلهاً أو ابن إله.

٢ ـ وقد أنزل الله عليه كتاباً وجعله نبياً.

٣ ـ وهو مبارك أينما كان لا يقترب منه الشيطان.

٤ ـ وهو موصى بالصلاة والزكاة طول حياته.

٥ ـ وهو بارٌ بوالدته وليس جباراً ولا شقياً.

٦ ـ وهو وُلِد وسوف يموت ومن ثم سوف يُبعث حياً.

وهذه الصفات النبوية اتصف به الأنبياء الآخرون. وهي صفات بشرية أيضاً فيها الولادة والموت والبعث يوم الحساب.

ولعل في هذا رد واضح على من قد يدعي أن المسيح إله أو ابن إله.

والغريب في الأمر أن الأناجيل لا تأتي على ذكر نطق المسيح عليه السلام في المهد. وهذا يدل على أمرين: الأمر الأول، أن الذين دوّنوا الأناجيل لم يشاهدوا ولم يشهدوا ولادة المسيح. ولذلك لم يعرفوا طبيعة هذه المعجزة الإلهية التي يراد من ورائها إظهار عبودية المسيح لله ونفي ما ادعوه من إلوهيته.

الأمر الثاني، طالما أنهم يدعون ألوهيته فليس عجباً أن يتكلم وهو في المهد ولكنهم لم يعايشوا المسيح ولم يعرفوا مجريات حياته، خاصة ما يتعلق منها بالمعجزات النبوية.

مفاهيم وإشكالات

يمر معنا في الفكر المسيحي بعض المصطلحات التي تفسر لتصل إلى القول بألوهية المسيح والمصطلحات نفسها نجدها أيضاً في النص القرآني وتفسر مستندة على تعاليم العقيدة الإسلامية وهذه المصطلحات والمفاهيم أثارت في الفلسفة الكثير من التفسيرات المتناقضة.

الروح القدس: يأخذ هذا المصطلح حيزاً عقيدياً مهماً وأساسياً في العقيدة النصرانية فهو في نظر كافة المذاهب المسيحية يعني روح الله الأقنوم الثالث في الثالوث. وقد، ذكر هذا التعبير في العهد القديم ثلاث مرات فقط. أما في العهد الجديد فقد ذكر كثيراً وقد سمي روحاً لأنه مبدع الحياة ودعي قدوساً لأن من ضمن عمله تقديس قلب المؤمن ويقول قاموس الكتاب المقدس (ويعلمنا الكتاب المقدس بكل وضوح عن ذاتية الروح القدس وعن ألوهيته). وفي إنجيل متى ورد (وإذ حبلت السيدة العذراء حبل بالمسيح فيها من الروح القدس)[1].

ويرى بارث وهو أهم الباحثين في اللاهوت المسيحي أن الروح القدس ليس مجرد صفة من صفات الله كتأثيره أو لطفه أو محبته ولكن هو الله نفسه لأن الله مثلث الأقانيم أب وابن وروح قدس هؤلاء الثلاثة أقانيم ما هم إلا إله واحد فالأقنوم الثالث من الثالوث أي الروح القدس حل على مريم العذراء وبقوة الله صارت مريم حاملاً.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس. صفحة ٤١٤ حرف الراء.

ويرى بارث أن التدخل الإلهي تم بطريقة الإله الخاصة كخالق وليس بالطريقة البيولوجية[1].

ومن خلال هذا المفهوم نرى أن مصطلح الروح القدس يدخل في العقيدة النصرانية كأساس مهم من أسس الإيمان المسيحي. فلا يمكن أن يكون الشخص مسيحياً ما لم يؤمن بأن الروح القدس هو وجه الله الثالث أو الأقنوم الثالث حسب قول المسيحية.

وترى البروتستانتية أن الروح القدس انبثق من الآب والابن بينما ترى الأرثوذكسية أن الروح القدس انبثق من الآب وحده[2].

وعندما نراجع نصوص القرآن نرى أن مفهوم الروح القدس يختلف جذرياً عما ورد في العقيدة النصرانية.. ففي سورة مريم عندما يقول سبحانه وتعالى:

فأرسلنا إليها روحنا. كان المقصود به جبريل عليه السلام. فهو الذي بشرها بأنها ستكون حاملاً بالمسيح عليه السلام.

ويقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء/ ١٧١].

ويقول تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ [البقرة/ ٨٧].

---

(١) الخضري. تاريخ الفكر المسيحي ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

(٢) البابا شنوده. اللاهوت المقارن ص ١١ ـ ١٢.

ويقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [المائدة/ ١١٠].

ويقول تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء/ ٩١].

وقد أجمعت جميع التفاسير على أن الروح القدس هو الملاك جبريل عليه السلام ومعنى قوله ونفخنا فيه من روحنا أي أمرنا جبريل أن ينفخ في فرج ثوبها فأحدثنا من ذلك النفخ المسيح في بطنها. أما ما يقال عن أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث فهذا لا يتطابق مع وحدانية الله ولا صمديته. وقد أيده الله سبحانه بالملاك جبريل يحميه ويعينه ويحيطه بعنايته طالما أن الله سبحانه مد له في حياته إلى أن تحين ساعته ورفعه إلى السماء.

ومثل ذلك قولهم بأن المسيح كلمة الله. فهناك اختلاف جذري بين ما تطرحه العقيدة النصرانية وبين ما نص عليه القرآن. وقد وردت كلمة الله بلفظة حكمة. فيرى الفكر المسيحي أن العهد القديم الذي بشر بالمسيح أورد مسألة الحكمة الموجود عند الله (منذ البدء منذ أوائل الأرض) قبل أن يوجد القمر أو الحياة وقبل الجبال وقبل السموات وقبل كل ما هو موجود ويحيا ويتحرك. فكل ما هو موجود وُجد لأن الحكمة كان عنده صانعاً وبلا شك.

وقد أورد إنجيل يوحنا ما يشابه الذي جاء في سفر الأمثال الوارد في ما يسمى العهد القديم. فيقول هذا الإنجيل على لسان المسيح (من قبل أن تقررت الجبال قبل التلال أُبدئت. لما ثبت السموات كنت هناك أنا كنت عنده صانعاً في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله كل شيء مراراً كثيرة لكي يشير بها إلى المسيح وأما للمدعوين يهوذا ولليونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء فإنه فيه قد خلق

الكل، ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى. الكل به وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل.

ويقول المفكر المسيحي: فالحكمة التي يتكلم عنها كاتب سفر الأمثال هو المسيح هو اللوغوس (الكلمة) الذي كان منذ البدء في حضن الآب والذي به خلق كل شيء[1]. فالفكر المسيحي يرى أن الكلمة هو المسيح وأنه أزلي كان قبل خلق أي شيء في الوجود وأنه كان موجوداً في حضن الآب الله منذ الأزل. وهذا يعني أن الله والمسيح واحد.

وقد وردت في القرآن الكريم قوله تعالى (كلمته) فقال تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء/ ١٧١]. فكان جبريل ناقلاً كلمة الله لمريم كما ينقل الرسول كلام الله لأمته.

ويرد ابن حزم على إنجيل يوحنا حين يقول: (في البدء كانت الكلمة والكلمة كانت عند الله والله كان الكلمة بها خلقت الأشياء ومن دونها لم يخلق شيء فالذي خلق هو حياة فيها).

يقول ابن حزم: كيف تكون الكلمة هي الله؟ وتكون عند الله فالله إذاً كان عند نفسه ثم قوله إن الذي خلق بالكلمة هو حياة فيها. فعلى هذا حياة الله مخلوقة. فروح القدس على نص كلام هذا الرجل مخلوق لأن روح القدس عند جميعهم هو حياة الله وهذا بخلاف جميع قول النصارى لأن الحياة التي في الكلمة مخلوقة بنص كلام يوحنا والله تعالى بنص كلام يوحنا هو الكلمة.

ويتابع ابن حزم قوله: ثم أطمّ من هذا كله إذا كانت حياة الكلمة مخلوقة فالكلمة هي الله فالله هو حامل لأعراض مخلوقة فيه والكلمة كانت بشراً مع قوله

---

(١) الخضري. تاريخ الفكر المسيحي ص ٢٩ ـ ٣٠.

الكلمة هي الله فالله بشر على نص كلام يوحنا.

ويقول ابن حزم: وبعد ذلك ذكر المسيح فقال إنه كان في الدنيا وبه خلقت الدنيا ولم يعرفه أهل الدنيا. فكيف يكون في الدنيا وبه خلقت الدنيا، لئن كان إلهاً كما يقولون فهو خلق الدنيا ولا يجوز أن تخلق به. وإن كان إنما به خلقت الدنيا ولم يخلقها هو فليس هو إلهاً ولا خالقاً إنما هو آلة من الآلات خلقت الدنيا بها وحاشا الله أن يخلق بآلة.

ويجدر بنا أن نلاحظ هنا أن الإرادة الإلهية عندما قدرت خلق آدم نُفخ فيه فصار إنساناً. وكذلك فإن المسيح عليه السلام يقع تحت هذه الدائرة بالمفهوم العام فلو كان نفخُ الله يخلق إلهاً لكان آدم إلهاً وهو الذي خلقه الله من دون أب وأم. فالمسيح عليه السلام تم خلقه من دون أب حيث حلّت كلمة الله سبحانه على مريم فحلمت عندما نفخ جبريل عليه السلام فيها فحملت بالمسيح. ونفخُ الملاك جبريل في مريم وحملها بالمسيح عليه السلام لا يعني بأي شكل من الأشكال أن يكون المسيح إلهاً. وما ينطبق على آدم عليه السلام ينطبق على المسيح عليه السلام فلماذا لا يؤله النصارى آدم ويؤلهون المسيح عليه السلام؟.

يبقى أن نشير هنا إلى أن الآيات القرآنية تشير إلى أن المسيح عليه السلام نطق وهو في المهد وهذا ما لم تشر إليه الأناجيل. فنطقه وهو في المهد بحد ذاته معجزة. لأن هذا النطق جاء ليبرئ مريم من شبهة الزنا التي كاد أهلها أن يتهموها بها. وليس هناك من دليل على تبرئتها أكثر قوة من دليل نطق طفلها بأنه كلمة الله ونبيّه وأنه قد أتاه الكتاب والحكمة ورسول إلى بني إسرائيل.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه لماذا لم تشر كافة الأناجيل إلى نطق عيسى في المهد؟

الواقع أن كتبة الأناجيل جميعهم يصرون على ألوهية المسيح. ولو كان

المسيح إلهاً كما يقولون فإن نطقه في المهد سيزيد من حجتهم توسعاً. لكن المسيح الذي نطق في المهد دحض كل الافتراءات التي تبناها الذين ألّهوه فكانت أول جملة نطق بها إني عبد الله وهذا يخالف كل تصورات الذين حرفوا في مسار العقيدة النصرانية. فكيف يمكن أن يخدعوا العالم بقولهم إن المسيح إله وهو الذي وضح أنه عبد الله؟ إذ ذلك يتناقض مع نظريتهم التحريفية فلا يمكن أن يأتوا على ذكر نطق المسيح في المهد لأن ذلك سينسف كل ما بنوه من تصور حول ألوهية المسيح المفترضة وذلك باعترافه أنه عبد الله وليس الله.

من جانب آخر فإن الذين كتبوا الأناجيل نقلوا أخباراً قيلت لهم ولم يعايشوا السيد المسيح منذ ولادته ولم يشهد أي منهم ولادة المسيح ولا حتى طفولته ولا حتى زمن دعوته.

إن أهم الأسباب التي نستنتجها من وراء نطق المسيح في المهد هي كون المسيح عبداً لله أتاه الكتاب وجعله نبياً. ولو كانت المسألة مسألة نطق عادي بأي كلام لما كان النطق نفسه ولما وُجد. فالنطق في المهد مرتبط ارتباطاً أساسياً بتحديد ماهية المسيح البشرية. فهو عبد الله وشتان بين العبودية لله والادعاء بالألوهية.

نسب المسيح ينفي ألوهيته

يرد في بعض الأناجيل نسب السيد المسيح عليه السلام، ولعل الغاية من إيراد هذا النسب التأكيد على أن المسيح عليه السلام ينتسب إلى النبي داود عليه السلام وداود ينتسب إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

فإنجيل متى يبدأ بالحديث عن نسب المسيح عليه السلام ويسلسل النسب من شخص إلى آخر حتى يصل إلى من يدعى يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح. ويقول الإنجيل فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً. ويبدأ الإنجيل سلسلة النسب بإبراهيم عليه السلام ويمر بسلسلة الأنبياء الذين انحدروا من إسحق.

والواقع أن النسب الذي يصل إلى يوسف رجل مريم لا يمت بصلة إلى المسيح عليه السلام والأناجيل نفسها تورد أن يوسف ليس والد المسيح إنما هكذا نسب المسيح ليوسف لأنه كان خطيب أمه مريم.

وطائفة من اليهود يقولون إن المسيح ابن يوسف النجار وما نرى متى إلا شاهداً لقولهم ومحققاً له وإلا فكيف يبدأ بأنه يذكر نسب المسيح إلى داود ثم لا يذكر إلا نسب يوسف النجار إلى داود ولو أنه ذكر نسب أمه مريم لكان لقوله مخرج ظاهر. لكنه لم يذكر نسب مريم أصلاً[1].

---

(١) ابن حزم. الفصل بين الملل والأهواء والنحل مجلد ٢ ص ٣٠.

وقد ذكر لوقا في الباب الثالث منه نسب المسيح عليه السلام فقال إنه كان يظن أنه ابن يوسف النجار. ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذين ذكر متى وهذا التناقض لابد أن يشير إلى أن أحد الكاتبين متى ولوقا يكذب بعضهما الآخر ولابد أن يكون كلا النسبين كذباً.

ويرى بعضهم أن أحد النسبين هو نسب الولادة والنسب الآخر نسب إلى إنسان تبنّاه على ما كان في قديم زمن بني إسرائيل من أن من مات ولا ولد له تزوج أخوه امرأته وينسب إلى الميت مَنْ ولدت منْ هذا الحي. وعلى هذا فنحن نسأل أي النسبين هو نسب الولادة وأيهما هو نسب الإضافة لا الحقيقة[1].

على أي حال فالفكر المسيحي له وجهة نظر في مسألة نسب المسيح عليه السلام حيث يرى.

أننا عندما ندرس العهد الجديد نلاحظ أن كتّابه أكدوا بشدة على أن يسوع هو ابن داود فالمسيا الموعود به والذي يجب أن ينقذ الشعب من خطاياه وعبوديته يجب أن يكون من نسل داود.

ويرى أن نسب المسيح لداود مهم جداً ليس فقط بالنسبة للعهد القديم بل بالنسبة للعهد الجديد أيضاً. ففي المسيح ابن داود تتحقق للكنيسة المسيحية الوعود الروحية التي كان ينتظرها شعبه في القديم.

ويعترف الفكر المسيحي أن بعض الفرق المسيحية وبعض الباحثين يرفضون هذا النسب فيرون أن سلسلتي النسب في متى ١ : ٢ ـ ١٦ ولوقا ٣٣ : ٢٣ ـ ٣٨ هي سلسلة نسب يوسف وليس شجرة نسب مريم. فحتى يصل متى إلى هدفه أي لكي يبين بأن المسيح هو من نسل داود يعطي لنا سلسلة طويلة من

---

(١) ابن حزم الفصل بين الملل والأهواء والنحل مجلد ٢ ص ٣٤.

الأسماء التي تنتهي بالقول ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح. أما لوقا فلكي يصل إلى نفس الهدف أي بأن يسوع هو ابن يوسف وابن داود فيقول: (ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف ابن هالي... ابن داود... ابن آدم... ابن الله).

وبناء على ذلك فإن لم يكن يوسف هو الأب الشرعي ليسوع فلا يمكن أن يكون يسوع هو ابن داود فإذا كان المسيح قد ولد بطريقة معجزية دون أي اتصال جنسي بين مريم ويوسف فإن يسوع يفقد نسبته لداود الأمر الذي يتمسك به عدد كبير من كتاب العهد الجديد[1].

وإذا عدنا إلى نصوص القرآن الكريم نرى أنها توضح المسألة بطريقة أبعد عن المسألة الجسدية أو النسب الجسدي.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ٣٣ - ٣٤].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران/ ٤٢].

فقد فضل الله من ذكرهم في الآية الأولى بالنبوة على الناس كلهم. وقد اختار الله سبحانه لرسالته من الناس آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران. وكل هؤلاء من ذرية آدم عليه السلام ثم ذرية نوح ثم من ذرية إبراهيم. فمسألة النسب لا تتوقف عند العلاقة الجسدية بل هي سلسلة نبوية من المهم أن يدركها المرء كي يصل إلى حقيقة المهمة النبوية للسيد المسيح.

على أية حال فإن إيراد إنجيل متى وإنجيل لوقا لسلسلتي المسيح عليه

---

(١) الخضري تاريخ الفكر المسيحي المجلد ١ ص ١٧٣ - ١٧٤.

السلام وعلى الرغم من اختلافهما فإن ذلك دليل ساطع على بشرية المسيح وليس على ألوهيته. وأما ما يقال عن الطبيعة الثنائية والأقانيم الثلاثة فهي بحد ذاتها تناقض منطق الألوهية الوحدانية فإما أن يكون الإله إلهاً فرداً صمداً وإما أن لا يكون لأن الخروج عن هذا المنطق هو دخول في عالم التعددية الإلهية والوثنية التي عرفتها الشعوب القديمة وأفصحت عنها أساطيرها.

إن القرآن الكريم الذي وضح أن الله اصطفى للنبوة آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران يوضح أنه اصطفى مريم على نساء العالمين لتكون أماً للمسيح عليه السلام. ويجدر بنا هنا أن نعود إلى أم مريم عندما حملت بمريم ووهبت ما في بطنها خالصاً لله إن كان ولداً أو بنتاً. فاصطفاء مريم حصل في علم الله منذ الأزل وظل الاصطفاء قائماً ومهدت له الأسباب الواقعية حتى حملت امرأة عمران بابنتها مريم وهي لا تعلم أن هذه البنت ستكون ذات شأن كبير في حياة الأمم وحياة النبوة.

فاصطفاء الله سبحانه لهؤلاء الأنبياء ليس اصطفاءً عشوائياً والدليل على ذلك أن أكبر العقائد تشترك في تقدير واحترام هؤلاء الأنبياء. وخاصة أن الدين الإسلامي يحترم كافة الأنبياء ويؤمن بهم سواء بسواء. ولئن رفض اليهود وكذلك النصارى الاعتراف بنبوة محمد ﷺ فإن ما أنزل على موسى وكذلك على عيسى عليهما السلام يدلل بشكل واضح على الاعتراف بنبوة خاتم الرسل محمد ﷺ رغم عدم اعتراف هؤلاء وتسليمهم بنبوة خاتم الرسل.

إن التسلسل الذي يورده إنجيل متى وكذلك إنجيل لوقا ليس مهماً كما يعتقد بعض النصارى بل المهم أن نعترف أن الأنبياء اصطفاهم الله لنفسه ليبلغوا رسالة التوحيد فليس مهماً أن نورد اثنين وأربعين جيلاً لنؤكد أن المسيح عليه السلام هو من نسل داود ثم إبراهيم. المهم أن المسيح هو من تلك السلالة

النبوية المصطفاة التي يشترك فيها موسى وداود وسليمان والمسيح كما يشترك فيها إسماعيل ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين. وما يعنينا من سلسلات النسب في كل البشرية؟ إن الذي يعنينا هنا هو تأكيد القرآن الكريم على السلسلة النبوية التي تدين لها البشرية جمعاء بديانة التوحيد. ولو كانت هذه السلسلة بشرية غير نبوية لما جاء عليها القرآن الكريم وركز عليها. فهي تنهل من نبع واحد وتصب في اتجاه واحد منذ آدم وحتى محمد ﷺ.

ويعلق الشيخ أحمد ديدات على سلسلة نسب المسيح بقوله:

أفيقوا الآن كيف دسّ آباء الكنيسة المسيحيون كيف دسّوا في سلسلة نسب يسوع المسيح الزناة ومرتكبي الفحشاء في المحارم إنها ذرية تتسلسل من يهوذا إلى يوسف خطيب مريم أم يسوع ذرية من الزنا والعهارة في العهد القديم لتكون سلسلة نسب ربهم ومخلصهم يسوع المسيح سجلها البشيرون في أناجيلهم من كتاب العهد الجديد.

لقد اختلفوا ودسوا هذا النسب لإنسان ليس له نسب وما هذا النسب؟ إنهم ست رجال من الآباء زناة وذريتهم ثمرة زناهم. لقد ارتكبوا الزنا في المحارم وفرض مدونو العهد الجديد هذه الذرية ليكون من سلالتها ذلك الإنسان القدوس إنهم الزناة رجال ونساء يستحقون الرجم حتى الموت وفقاً لأحكام الله في شريعة موسى وفضلاً عن ذلك كان ينبغي أن يُنبَذوا في المجتمع وأن يحرموا من بيت الله لعدة أجيال[1].

إننا نتساءل لماذا ينسب الله يوسف بن هالي خطيب مريم أباً ليسوع المسيح ابنه كما ادعى بولس وحده الذي نادى بالبنوَّة لله حقيقة.

---

(١) أحمد ديدات. هل الكتاب المقدس كلام الله. ترجمة وتحقيق إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، الطبعة الأولى ١٩٨٩م القاهرة، ص ٢٠٧.

لماذا ينسب ليسوع هؤلاء الأسلاف الزناة. لكن رجال اللاهوت المارقين عن الحق وما أكثرهم يبررون هذا بقولهم: هنا تكمن الروعة برمتها. فإن الله أحب الخطاة إلى درجة أنه لن يستنكف أن يجعل أسلاف (ابنه) مثل هؤلاء.

شخصيات يكرمها الكتاب المقدس لولادتهم غير الشرعية فهم آباء أجداد وأمهات أجداد يسوع المسيح ابن الله الوحيد وينفرد متى في تسجيل أسماء هؤلاء فيقول: ويهودا ولد فارص وزارح من ثامار[1].

وسلمون ولد بوعز من راحاب. وراحاب امرأة أمورية زانية. وبوعز ولد عوبيد من راعوث. راعوث موآبية وهي من المحرمات. وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا. اقرأ وتدبر زنى داود بامرأة أوريا الحثي[2].

نخلص إلى نتيجة مفادها أن نسب المسيح يطعن في شخصه من ناحية، ومن ناحية أخرى حتى لو كان النسب صحيحاً فإنه لا يفيد مطلقاً في إطار اصطفاء الله لأنبيائه. فيكفيهم عزاً وفخراً أنهم وقعوا في دائرة الاصطفاء الإلهي ليكونوا أنبياء يدعون إلى ديانة التوحيد ويستمدون من مصدر إلهي واحد.

---

(١) أحمد ديدات. هل الكتاب المقدس كلام الله. ترجمة وتحقيق إبراهيم خليل أحمد دار المنار، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، القاهرة ص ٢٠٨.

(٢) نفس المرجع السابق، صفحة ٢٠٩.

حياة المسيح من الطفولة إلى الدعوة

لا شك أن دارسة حياة أي نبي تشتمل على الكثير من الأمور خاصة تلك التي ترتبط بالنبوة والدعوة. والمسيح عليه السلام كأي نبي من الأنبياء مر بطفولة وشباب وأحاطه الله سبحانه بالرعاية والتربية النبوية الخاصة.

ينفرد إنجيل متى بالحديث عن بعض الأمور المتعلقة بحياة المسيح خاصة أيام طفولته فيرى هذا الإنجيل أن مجوساً قدموا أورشليم من المشرق بعد أن رأوا نجماً في المشرق يبشر بولادة المسيح.

ثم يورد هذا الإنجيل أن يوسف ومريم حملا يسوع وهربابه إلى مصر خوفاً من بطش هيرودس ثم يعودان من مصر ويقيمان في الناصرة حيث ظهر ملاك الرب ليوسف وأخبره أن الملك قد مات وجاء ملك بعده فلا خوف على حياة الطفل يسوع.

وقد صرح المجوس أنهم جاؤوا ليسجدوا لهذا الطفل الذي ولد في بيت لحم. ويقول هذا الإنجيل (وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه) الفصل ٢ صفحة ٣٧.

وإذا تصفحنا آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن النبي عيسى لوجدناها تخلو من ذكره هذه القصص وهذا يدعونا لتحليل ما ورد في النص الإنجيلي.

فالنص يقول إن مجوساً قدموا أورشليم من المشرق وقالوا أين ملك اليهود الذي ولد فقد رأينا نجمه في المشرق.

فاعترف الإنجيل أن مجوساً علموا الغيب وعرفوا أن ملك اليهود قد ولد. فالمجوس يعبدون النار وهم أصحاب الإيمان بإلهين إله للخير وإله للشر وليس لهم علاقة بعقيدة التوحيد أو حتى بأي صلة مع عقيدة إلهية فكيف منحهم الله علم الغيب وأخبرهم أن ملك اليهود قد ولد. وقالوا إنهم رأوا نجمة في المشرق. فهل لكل نبي نجم يظهر حين يلد وما هذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل. وكم هي المسافة الفاصلة بين النجم وبين الكرة الأرضية. ثم كم هو حجم هذا النجم وكيف توقف مسيره عندما وصل إلى المكان الذي فيه الطفل.

ولما رأوا النجم فرحوا فرحاً شديداً ودخلوا البيت فرأوا الطفل مع أمه فجثوا له ساجدين فلماذا يسجدون له ألأنه الإله الذي يزعم لوقا ويتصور؟ ثم ما هذا التغير الذي طرأ على المجوس وهل النجم مسخر من قبل هذا الطفل الإله أم أن رب الكون سخر النجم للمجوس كي يقولوا إن ملك اليهود قد ولد. ومع كل هذا فالمسيح لم يكن ملكاً لليهود ولا نُصّب ملكاً عليهم من أول يوم في حياته وحتى رفعه إلى السماء.

أما قضية هروب مريم ويوسف ومعهما المسيح إلى مصر فالمسألة هذه تحتاج لمراجعة وتحليل فالمسيح عليه السلام في طفولته لا يشكل خطراً على هيردوس الملك لأنه لن يكون ملكاً بل نبياً إلى التوحيد وتصحيح الانحراف الذي فعله اليهود. وإذا كان إنجيل متى يسند قصة الهرب إلى قصة المجوس فإن ذلك من الخطأ الفاحش لأن قصة المجوس مخترعة ولم يُخبر بها أحد فكيف علمها متى وممن علِمها.

ثم إن إنجيل متى يقول إنه أُوحي إلى يوسف النجار أكثر من مرة فهل كان يوسف نبياً حتى يوحى له؟ ليحمي المسيح.

لقد صرحت آيات القرآن الكريم أن الروح القدس ـ جبريل ـ بعثه الله سبحانه ليؤيد المسيح ويحميه ولم يشر أصلاً إلى يوسف ولا إلى إيحاء جبريل له ولا إلى قصة المجوس وقصة الهروب إلى مصر.

وصرحت الآيات القرآنية الكريمة منذ البداية أن المسيح نبي مؤيد من الروح القدس وأنه نبي بعثه الله لبني إسرائيل.

يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران/ ٤٥ ـ ٤٦].

ويقول تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران/ ٤٨ ـ ٥١].

إذاً فهو نبي بعث لبني إسرائيل وليس ليتسلم عرش ملك بني إسرائيل.

وآيته أن الله أيده ليخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ويبرئ المرضى ذوي الأمراض المستعصية ويحيي الموتى بإذن الله. إلى آخر ما هنالك من معجزات منحها الله له لتدل على نبوته.

لقد حدد القرآن الكريم مهمة السيد المسيح النبوية. وتذكر بعض الأناجيل ومنها إنجيل برنابا أن المسيح عليه السلام عندما بلغ اثنتي عشرة سنة ذهب إلى

الهيكل وسط العلماء يحاجهم في أمر الناموس. وقد صرح المسيح نفسه أنه جاء ليتمم الناموس لا لينقضه والمقصود أنه جاء متمماً لرسالة موسى التوحيدية وليس ناقضاً لها.

جاء في إنجيل متى: (لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء. ما جئت لأبطل بل لأكمل) الفصل ٥ ص ٤٦.

إذاً كيف يكون إلهاً وهو يعترف أنه جاء ليكمل ما قام به الأنبياء قبله؟ إن القرآن الكريم يحدد أن المسيح بُعث رسولاً لبني إسرائيل وعلمه الله الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. إذاً فهو في طريق الأنبياء يتمم رسالتهم في بني إسرائيل الذين انحرفوا عن عقيدة التوحيد.

تبدأ حياة المسيح بالعبودية لله سبحانه وتعالى وما إن بدأ حياة الفتوة والشباب حتى منحه الله قوة الحكمة والحجة والجدال مع كهنة بني إسرائيل. وفي هذا السياق لابد أن نعرف الفئات اليهودية وغيرها التي جادلها المسيح ووقف على النقيض منها ومن معتقداتها وعاداتها ويأتي الفريسيون على رأس هذه الفئات ويبدو من خلال ما ذكرته الأناجيل أن الفريسيين وقفوا من المسيح عليه السلام موقفاً عدائياً واضحاً. وكلما ازداد الجدال بينه وبينهم ازدادوا تعصباً وحقداً.

وما عند اليهود من الاختلاف في أمره ما يدل على عدم تيقنهم بشيء من أخباره. فمنهم من يقول إنه كان رجلاً منهم ويعرفون أباه وأمه وينسبونه لزانية وحاشاه وحاشا أمه الصديقة الطاهرة البتول. ويسمون أباه الزاني البنديرا الروحي وأمه مريم الماشطة ويزعمون أن زوجها يوسف بن يهودا وجد البنديرا عندها على فراشها وشعر بذلك فهجرها وأنكر ابنها. ومن اليهود من رغب عن هذا القول وقال إنما أبوه يوسف بن يهودا الذي كان زوجاً لمريم ويذكرون أن السبب

في استفاضة اسم الزنا عليه أنه بينما هو يوماً مع معلمه بهشوع بن برخيا وسائر التلاميذ في سَفَر فنزلوا موضعاً. فجاءت امرأة من أهله وجعلت تبالغ في كرامتهم فقال بهشوع ما أحسن هذه المرأة يريد أفعالها فقال عيسى بزعمهم لولا عور في عينها فصاح بهشوع وقال له يا ممزار ـ أي يا زنيم أو يا بن الزنا ـ أتزني بالنظر. وغضب غضباً شديداً وعاد إلى بيت المقدس وحرم اسمه ولعنه في أربعمائة قرن. فحينئذ لحق ببعض الروم وداخله بصناعة الطب فقوي بذلك على اليهود وهم يومئذ في ذمة قيصر بتاريوس. وجعل يخالف حكم التوراة ويستدرك عليها ويعرض عن بعضها إلى أن كان من أمره ما كان، وطوائف من اليهود يقولون غير هذا، ويقولون إنه كان يلاعب الصبيان بالكرة فوقعت منهم بين جماعة من مشايخ اليهود فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حياءً من المشايخ. فقوي عيسى وتخطى رقابهم وأخذها فقالوا له ما نظنك إلا زنيماً. ومن اختلاف اليهود في أمره أنهم يسمون أباه بزعمهم الذي كان خطب مريم يوسف ابن يهودا النجار. وبعضهم يقول إنما هو يوسف الحداد[1].

وهذا غيض من فيض مما يقوله اليهود في عيسى ابن مريم عليه السلام وهذا هو الأساس الذي استندوا عليه وهم يجادلون المسيح.

والواقع أن الأناجيل لا تذكر لنا عن طفولة المسيح إلى حادثتين. حادثة مجيء المجوس التي ناقشناها وحادثة حلم يوسف وهربه إلى مصر بصحبة مريم والمسيح عليه السلام وفي إنجيل لوقا نعرف شيئاً عن شباب المسيح. فيورد أنه ذهب مع مريم ويوسف ليؤدي الفصح في القدس.

وتؤكد الأناجيل على أن خدمة المسيح العلنية بدأت منذ أن صار عمره ثلاثين سنة فقال إنجيل لوقا (ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة) لوقا ٣: ٢٣.

---

(١) ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى ص ٢٢٢، سبق ذكره.

وحسب المصادر الإسلامية فإنه بعث أو كلف بالنبوة في سن الثلاثين واستمرت دعوته ثلاث سنين فقط.

ونستطيع أن نرى تعاليم المسيح ومعجزاته منذ هذا الوقت أي منذ أن أنزل الوحي عليه الإنجيل.

وعندما نرجع إلى تاريخ اليهودية نرى أن الفترة التي بدأ فيها المسيح بالدعوة كانت فترة اضطراب وقلق وعدم استقرار من الناحية السياسية والدينية. وما يهمنا هنا الجو الديني العام الذي بشر المسيح بدعوته فيه. فترى المصادر المسيحية أن أحزاباً دينية نشطت وأصبح الشعور العام لدى اليهود هو حاجتهم لنبي يخلصهم مما هم فيه من ظلم الرومان.

وقد ظهر في هذا الوقت أن اليهود انقسموا إلى ثلاث فئات. الفريسيين، والصدوقيين، والاسينيين. فالفريسيون كانوا متشددين متطرفين فوقفوا من المسيح موقفاً عدائياً قاسياً. والصدوقيون يمثلون الطبقة الأرستقراطية المتعاونة مع الرومان. أما الاسينيون فاعتزلوا وعاشوا في قمران وكانوا ينتظرون تغييراً في الحياة الدينية اليهودية.

ومما سبق يتضح لنا أمران هامان جداً الأمر الأول هو أنه عندما بدأ المسيح في الخدمة كان معظم الشعب اليهودي ينتظر بفارغ الصبر ظهور المسيا (النبي) والأمر الثاني أن السلطات الرومانية كانت تعتبر أن كل حركة مسيانية حركة معادية للسلطات الرومانية وللإمبراطورية كلها[1].

---

(١) الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، صفحة ٢١٦.

الصراع بين النبي عيسى عليه السلام وبين اليهود

كان اليهود على كافة أحزابهم ومذاهبهم ينتظرون قدوم المسيح استناداً على نبوءات قدمها أنبياؤهم خاصة النبي إشعيا.

وحسب اعترافاتهم فإنهم كانوا ينتظرون مسيحاً قوياً يبهر العقل والعين بأعماله ومعجزاته وعلى الرغم من أن المسيح قدم معجزات كثيرة إلا أن اليهود وقفوا منه موقفاً معادياً. وقد صرح المسيح نفسه لتلاميذه بأن الدعوة يجب أن تكون لبني إسرائيل. (إلى طريق الأمم لا تمضوا وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) إنجيل متى ١ : ٥ ـ ٦، فالمسيح جاء لخاصته لكي يمنح هذه الخاصة الخلاص ولكي تكون هي بدورها مبشرة بهذا الخلاص للأمم.

واشتد الصراع بين المسيح واليهود ويرجع سببه إلى أن المسيح نادى بتحرير الإنسان من حرفية الناموس والطقوس البالية القديمة التي هي من صنع الإنسان. وقد ذكرت الأناجيل ذلك الصراع والويلات التي صبها المسيح على رياء الكتبة والفريسيين وكذلك مقاومته للصدوقيين ومعتقداتهم. ويبدو أن المسيح لم يكن في صراع مع الاسينيين جماعة قمران. وهذا ما لم تذكره الأناجيل أيضاً.

وقد ذكر القرآن الكريم الكثير من صراع المسيح عليه السلام مع اليهود. وقد تجنوا عليه وعلى أمه مريم العذراء.

فقد اتهموا مريم اتهامات باطلة ووصفوها بأوصاف نابية سيئة.

يقول تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء/ ١٥٦].

واتهموه بالسحر ورفضوا آيات الله ومعجزاته.

فقال تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة/ ١١٠].

وقد كان انحراف اليهود كبيراً حتى أنهم جعلوا معبد الرب مغارة لصوص ومكاناً لبائعي الحمام وقد أنكر المسيح عليه السلام عليهم ذلك الأمر فدخل معبد الرب وأدانهم وفضح خروجهم عن سلوك الدين القيم. وقد جاء في إنجيل متى: (ثم دخل يسوع الهيكل وطرد جميع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل فقلب طاولات الصيارفة ومقاعد باعة الحمام وقال لهم: مكتوب بيتي يدعى بيت الصلاة وأنتم تجعلونه مغارة لصوص) الفصل ٢١ صفحة ١٠٩ وقد ورد ذلك أيضاً في إنجيل مرقص وإنجيل لوقا.

وقد تجلى الصراع بين المسيح عليه السلام وبين الفريسيين في أقوال ومواقف كثيرة: جاء في إنجيل متى: (الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تقفلون ملكوت السموات في وجوه الناس فلا أنتم تدخلون. ولا الذين يريدون الدخول تدعونهم يدخلون. الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تجوبون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً فإذا أصبح دخيلاً جعلتموه يستحق جهنم ضعف ما أنتم تستحقون الويل لكم أيها القادة العميان...

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تؤدون عشر النعنع والشمرة والكمون بعدما أهملتهم أهم ما في الشريعة. العدل والرحمة والإخلاص) متى ص ١١٨ ـ ١١٩.

ويقول: (أيها الحيّات أولاد الأفاعي كيف لكم أن تنجوا من عقاب جهنم من أجل ذلك ها أنذا أرسل إليكمأنبياء وحكماء وكتبة فبعضهم تقتلون وتصلبون وبعضهم في مجامعكم تجلدون ومن مدينة إلى مدينة تطاردون حتى يقع عليكم

كل دم زكي سفك في الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن بركيا الذي قتلتموه بين المقدس والمذبح). متى ٢٣ ـ صفحة ١٢٠.

ويورد إنجيل متى شيئاً وافياً عن تآمر أحبار اليهود على المسيح عليه السلام. فيقول (واجتمع حينئذ الأحبار وشيوخ الشعب في دار عظيم الأحبار وكان يدعى قيافا فأجمعوا على أن يمسكوا يسوع بحيلة ويقتلوه.

وقد تآمر على المسيح المدعو يهوذا الاسخريوطي حيث يرد أنه ذهب إلى الأحبار وقال لهم ماذا تعطوني وأنا أسلمه لكم فجعلوا له ثلاثين من الفضة وأخذ من ذلك الحين يطلب فرصة ليسلمه.

وتورد الأناجيل أن اليهود هاجموا المسيح بالعصي وقبضوا عليه ليسلموه إلى الرومان بحجة أنه متمرد ومشاغب.

وقد أوردت الأناجيل أن اليهود بصقوا في وجه المسيح عليه السلام ولطموه ولكموه ثم استلمه جنود الحاكم فجردوه من ثيابه ووضعوا إكليلاً من الشوك على رأسه وضربوه بالقصبة على رأسه. وسخروا منه كثيراً. إلى آخر ما هنالك من أشكال الإهانات التي أوردتها الأناجيل.

وقد أورد القرآن الكريم موقف اليهود من المسيح عليه السلام. فهم على طبعهم من معاداة الأنبياء وقتلهم.

يقول تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة/ ٨٧].

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة/ ٧٨].

معجزات النبي عيسى عليه السلام

المعجزة حسب المفهوم الديني أمر خارق للعادة ونواميس البشر يقصد به الله سبحانه تحدي البشر وإعجازهم وذلك لتكون أحد أسباب الإقناع والاقتناع بالله والإيمان به .

ولو نظرنا في آيات القرآن الكريم وجدنا أن الله سبحانه أجرى المعجزات على يد أنبيائه سيما هؤلاء الذين كان عصرهم يتناسب وطرح المعجزات لتعين الأنبياء على إقناع الجاحدين بربوبية الله ووحدانيته .

فقد قدم موسى عليه السلام معجزتين ، خروج يده بيضاء . والعصا التي تلقفت جميع الثعابين المتوهمة . وقدم الله سبحانه لصالح معجزة الناقة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وكذلك كان القرآن الكريم معجزة سيدنا محمد ﷺ الكبرى التي تحدى بها قومه والناس أجمعين إضافة لمعجزات كثيرة رافقت حياته وحياة عدد من الأنبياء .

وإذ كُلف عيسى عليه السلام بالدعوة لديانة التوحيد فقد أيده الله سبحانه بإجرائه بعض المعجزات عسى أن يؤمن بعقيدته بنو إسرائيل والوثنيون الرومان ومن على شاكلتهم وقيل إن عصر موسى طغى عليه السحر وصناعته فكانت معجزاته من صنف ما كان عليه عصره وكذلك عيسى فقد قيل إن عصره اشتهر بالطب فكانت معجزاته تدور في دائرة صنف عصره وكذلك الرسول ﷺ فكان القرآن معجزاً للعرب كونهم اتصفوا عند نزول القرآن الكريم بالبلاغة اللغوية والفصاحة .

وقد حفلت الأناجيل بعدد كبير من الخوارق والمعجزات التي أجراها السيد المسيح عليه السلام فقد أورد إنجيل متى عشر معجزات وهي :

١ ـ إبراء الأبرص : يقول إنجيل متى : (ولما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة وإذا أبرص يدنو منه فيسجد له ويقول : إن شئت فأنت قادر على أن تبرئني فمد يسوع يده فلمسه وقال قد شئتُ فابرأ فبرئ من برصه لوقته) فصل ٨ : ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ .

٢ ـ شفاء عبد قائد المائة : (ودخل كفر ناحوم فدنا منه قائد مائة يتوسل إليه فيقول إن عبدي ملقى على الفراش في بيتي مقعداً يعاني أشد الآلام فقال له أأذهب لأشفيه فأجاب قائد المائة : لست أهلاً لأن تدخل تحت سقفي ولكن يكفي أن تقول كلمة فيبرأ عبدي . . . ثم قال يسوع لقائد المائة اذهب وليكن لك بحسب ما آمنت فبرئ العبد من تلك الساعة) متى الفصل ٨ ، صفحة ٥٧ .

٣ ـ شفاء كثير من المرضى الممسوسين : حيث طرد يسوع الأرواح بكلمة منه .

٤ ـ تسكين العاصفة : حيث زجر الرياح والبحر فحدث هدوء .

٥ ـ طرد الشياطين وغرق الخنازير .

٦ ـ شفاء المقعد : إذ قال يسوع للمقعد ثق يا بني غُفرت لك خطاياك . ثم قال له قم فاحمل سريرك واذهب إلى بيتك فقام ومضى إلى بيته .

٧ـ ٨ ـ شفاء المنزوفة وإحياء ابنة بعض الوجهاء : حيث التقت يسوع فرآها ـ المنزوفة ـ فقال ثقي يا ابنتي إيمانك أبرأك فبرئت المرأة من ساعتها . . وقال انصرفوا فالصبيَّة لم تمت وإنما هي نائمة فضحكوا منه فلما أخرج الجمع دخل وأخذ بيد الصبية فنهضت وذاع الخبر في تلك الأرض كلها .

٩ ـ شفاء أعميين : فلمس أعينهما وقال فيلكن لكما بسحب إيمانكما فانفتحت أعينهما .

١٠ ـ شفاء أخرس ممسوس : وما إن خرجا حتى أتوه بأخرس ممسوس فلما طرد الشيطان تكلم الأخرس .

وهناك أيضاً معجزات يذكرها إنجيل متى مثل معجزة الخبز والسمك (حيث أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع عينيه نحو السماء وبارك وكسر الأرغفة وناولها تلاميذه والتلاميذ ناولوها الجموع فأكلوا كلهم حتى شبعوا ورفعوا ما فضل من الكسر اثنتي عشرة قفة ممتلئة وكان الآكلون خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد) إنجيل متى صفحة ٨٦ .

ومن معجزاته أيضاً أنه سار على الماء . يقول الإنجيل فعند آخر الليل جاء إليهم ماشياً على البحر .

وقد شفى المرضى في أرض يقال لها جناسرت وشفى ابنة الكنعانية في نواحي صور وصيدا وكذلك شفى المرضى على شاطئ بحر الجليل وجرت أيضاً مرة ثانية معجزة الخبز والسمك وطرد الشيطان من صبي مصاب بالصرع .

وقد وردت معجزات المسيح هذه في إنجيل مرقص وكذلك إنجيل لوقا وكذلك إنجيل يوحنا ونرى في بعض الأناجيل زيادة في المعجزات عن غيرها وكذلك أحياناً نرى نقصاناً في هذه المعجزات في بعض الأناجيل دون غيرها .

ولكننا بشكل عام نرى أن الأناجيل جميعاً تتفق على أن المسيح أتى بمعجزات كثيرة وكلها كان له الأثر في إيمان المئات من البشر برسالته . وكان الفريسيون حسب ما ورد في الأناجيل يطلبون منه فعل أمور على سبيل الإعجاز وإظهار عجزه . ولكن الأناجيل تورد أن يسوع المسيح رد عليهم ردوداً أفحمتهم وجعلتهم يصمتون . ويعاودون ذلك مرات علهم ينالون منه ومن نبوته .

ويورد القرآن الكريم ما منح الله عيسى عليه السلام من تأييد الله له بالمعجزات وتكرر ذلك ليؤكد القرآن هذا التأييد الإلهي.

فيقول تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١﴾ [آل عمران/ ٤٩ ـ ٥١].

ويقول تعالى في سورة المائدة: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلِۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠﴾ [المائدة/ ١١٠].

فالمعجزات التي منحه الله إياها هي:

١ ـ خلقٌ من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.

٢ ـ إبراء الأكمة والأبرص.

٣ ـ إحياء الموتى بإذن الله.

٤ ـ إخبار بني إسرائيل بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم من مدخرات.

٥ ـ ويضاف إلى ذلك تأييده بالروح القدس ونطقه في المهد.

ولم تشر الأناجيل إلى معجزة خلقه للطير ولا إلى إخبار بني إسرائيل بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم ولا إلى معجزة نطقه في المهد. أما القرآن الكريم فلم يتحدث عن بعض المعجزات التي ذكرتها الأناجيل كحادثة السمك والخبز.

واقع معجزات المسيح بين التصور القرآني والتصور المسيحي

تربط الأناجيل بين المعجزات وما يُدّعى من ألوهية المسيح. ففي نصوص الأناجيل الذي ذكرت المعجزات يرد ما يؤكد التصور الإنجيلي لألوهية المسيح.

ففي حادثة إبراء الأبرص يقول إنجيل متى: وإذا أبرص يدنو منه فيسجد له ويقول: يا رب إن شئت فأنت قادر على أن تبرئني.

فنلاحظ ورود كلمة يسجد له وكلمة يا رب وورود كلمة إن شئت. وهذه الكلمات الثلاث تشير بوضوح إلى أن الأناجيل تصر على أن المسيح إله له مشيئة خاصة وإرادة خاصة ويُسجَد له ويُنادى باسم الرب. وتتكرر كلمة يا رب في حادثة شفاء عبد قائد المائة (فيا رب إن عبدي ملقى على الفراش في بيتي).

وفي حادثة طرد الشياطين وغرق الخنازير يرد في إنجيل متى (أجئت إلى هنا لتعذبنا قبل الأوان) وهذه الجملة تشير إلى الأناجيل تفترض أن المسيح هو الله فهو الذي سيعذب الناس جزاء على ما اقترفوا من خطايا.

وفي قصة (يسوع يسكن العاصفة) يرد قول إنجيل متى (يا رب نجنا لقد هلكنا).

وفي حادثة شفاء أعميين يرد في سفر متى: فقالا له نعم يا رب.

فإذا كان ما أتى به المسيح عليه السلام من معجزات يدل على ألوهيته فإن الله أجرى معجزات على يد كثير من الأنبياء. فموسى عليه السلام وهبه الله معجزة اليد التي إذا أخرجها من جيبه تخرج بيضاء تشع بالنور. ووهبه الله العصا إذا ألقاها أصبحت ثعباناً على الحقيقة حتى أن موسى خشي منها وأوحى الله له

أن يمسكها لتُعاد إلى سيرتها الأولى. وفجر الصخرة أو الحجر اثنتي عشرة عيناً على عدد أسباط بني إسرائيل ليشربوا.

فهذه المعجزات التي أجريت على يد موسى عليه السلام كفيلة أن يقال عنه إلهاً كما قيل عن المسيح. فلماذا لم يؤله المسيحيون موسى وألّهوا المسيح؟ على الرغم من أنهم يعترفون بالكتاب الذي يسمى التوراة ويعترفون بموسى أنه نبي وله معجزات.

يقول ابن القيم: وإن جعلتموه إلهاً لأنه صنع من الطين صورة طائر ثم نفخ فيها فصارت لحماً ودماً وطائراً حقيقة ولا يفعل هذا إلا الله قيل فاجعلوا موسى بن عمران إله الآلهة فإنه ألقى عصاه فصارت ثعباناً عظيماً ثم أمسكها بيده فصارت كما كانت[1].

ويقول ابن القيم: وإن قلتم استدللنا على كونه إلهاً بأنه أحيا الموتى ولا يحييهم إلا الله فاجعلوا موسى إلهاً آخر فإنه أتى من ذلك بشيء لم يأت المسيح بنظيره ولا ما يقاربه. وهو جعل الخشبة حيواناً عظيماً ثعباناً فهذا أبلغ وأعجب من إعارة الحياة إلى جسم كانت فيه أولاً. فإن قلتم هذا غير إحياء الموتى. فهذا اليسع النبي أتى بإحياء الموتى وهم يقرون بذلك وكذلك إيليا النبي أيضاً أحيا صبياً بإذن الله وهذا موسى قد أحيا بإذن الله السبعين الذين ماتوا من قومه وفي كتبكم من ذلك كثير عن الأنبياء والحواريين. فهل صار أحد منهم إلهاً بذلك؟

وإن قلتم جعلناه إلهاً للعجائب التي ظهرت على يديه، فعجائب موسى أعجب وأعجب وهذا إيليا النبي بارك على دقيق العجوز ودهنها فلم ينفد ما في جرابها من الدقيق. وما في قارورتها من الدهن سبع سنين وإن جعلتموه إلهاً لكونه أطعم من الأرغفة اليسيرة آلافاً من الناس. فهذا موسى أطعم أمته أربعين

---

(١) ابن القيم: هداية الحيارى صفحة ٢٠٦.

سنة من المن والسلوى وإن قلتم جعلناه إلهاً لأنه صاح بالبحر فسكنت أمواجه فقد ضرب موسى بعصاه فانفلق اثني عشر طريقاً وقام الماء بين الطرق كالحيطان. وإن جعلتموه إلهاً لأنه أبرأ الأكمة والأبرص فإحياء الموتى أعجب من ذلك. وإن جعلتموه إلهاً لأنه ادعى ذلك فلا يخلو إما أن يكون الأمر كما تقولون عنه أو يكون إنما ادعى العبودية والافتقار وأنه مربوب مصنوع مخلوق. فإن كان كما ادعيتم عليه فهو أخو المسيح الدجال فليس بمؤمن ولا صادق فضلاً عن أن يكون نبياً كريماً. جزاؤه جهنم وبئس المصير كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء/ ٢٩]. وكل من ادعى الإلهية من دون الله فهو من أعظم أعداء الله كفرعون ونمرود وأمثالهما من أعداء الله فأخرجتم المسيح من كرامة الله ونبوته ورسالته وجعلتموه من أعظم أعداء الله ولهذا كنتم أشد الناس عداوة للمسيح[1].

وقد فَلْسف بعض الفلاسفة المتصوفين المسلمين مسألة معجزات عيسى عليه السلام وخاصة خلقه للطير وأضفوا على المسألة لوناً تفسيرياً خاصاً لا نعهده عند المفسرين المسلمين الآخرين ولابن عربي رأي في ذلك.

يقول ابن العربي: فخلق جسم ماء محقق من مريم ومن ماء متوهم من جبريل سرى في رطوبة ذلك النفخ لأن النفخ من الجسم الحيواني رطب لما فيه من ركن الماء فتكوّن جسم عيسى من ماء متوهم وماء محقق وخرج على صورة البشر من أجل أمه ومن أجل تمثل جبريل في صورة البشر حتى لا يقع التكوين في هذا النوع الإنساني إلا على الحكم المعتاد. فخرج عيسى يحيي الموتى لأنه روح إلهي وكان الإحياء لله والنفخ لعيسى. كما كان النفخ لجبريل والكلمة لله فكان إحياء عيسى للأموات إحياءً محققاً من حيث ما ظهر عن نفخه كما ظهر هو عن

---

(١) ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى صفحة ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

صورة أمه. وكان أحياؤه أيضاً متوهماً أنه منه وإنما كان لله. فجمع بحقيقته التي خلق عليها كما قلناه أنه مخلوق من ماء متوهم وماء محقق ينسب إليه الإحياء بطريق التحقيق من وجه وبطريق التوهم من وجه فقيل فيه من طريق التحقيق (ويحيي الموتى) وقيل فيه من طريق التوهم (فتنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله فالعامل في المجرور يكون لا قوله تنفخ ويحتمل أن يكون العامل فيه تنفخ فيكون طائراً من حيث صورته الجسمية الحسية وكذلك (تبرئ الأكمه والأبرص) وجميع ما ينسب إليه وإلى إذن الله وإذن الكناية في مثل قوله بإذني وبإذن الله فإذا تعلق المجرور بتنفخ فيكون النافخ مأذوناً له في النفخ ويكون الطائر عن النافخ بإذن الله فيكون العامل عند ذلك يكون ولولا أن في الأمر توهماً وتحققاً ما قَبِلتْ هذه الصورة هذين الوجهين. بل لها هذان الوجهان لأن النشأة العيسوية تعطي ذلك.[1]

ويرى ابن عربي أن خلق المسيح للطير وإحياء الموتى ظاهراً دون الرجوع إلى إرادة الله وواسطته جبريل عليه السلام أدى بالنصارى إلى الأخذ بظاهر الأمور فوقعوا في الحلول ويقول في ذلك: فأدى بعضهم فيه إلى القول بالحلول وأنه هو الله بما أحيا به من الموتى ولذلك نسبوا إلى الكفر وهو الستر لأنهم ستروا الله الذي أحيا الموتى بصورة بشرية عيسى فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة/ ٧٢] فجمعوا بين الخطأ والكفر في تمام الكلام كله لأنه لا بقولهم هو الله ولا بقولهم ابن مريم فعدلوا بالتضمين من الله من حيث إحياء الموتى إلى الصورة الناسوتية البشرية بقولهم ابن مريم وهو ابن مريم بلا شك فتخيل السامع أنهم نسبوا الألوهية للصورة وجعلوها عين الصورة وما فعلوا بل جعلوا الهوية الإلهية ابتداء في صورة بشرية

---

(١) ابن عربي: فصوص الحكم ص١٣٩ ـ ١٤٠

هي ابن مريم ففصلوا بين الصورة والحكم لا أنهم جعلوا الصورة عين الحكم كما كان جبريل في صورة البشر ولا نفخ ثم نفخ ففصل بين الصورة والنفخ وكان النفخ من الصورة فقد كانت ولا نفخ فما هو النفخ في حدها الذاتي.

ويطرح ابن عربي رأياً تحليلياً لما جرت عليه الأمور بين الملل والفرق والمذاهب حول ما أطلقوه من ألوهية المسيح أو ناسوتيته.

فيقول في ذلك: فوقع الخلاف بين أهل الملل في عيسى ما هو فمن ناظر فيه من حيث صورته الإنسانية البشرية فيقول هو ابن مريم. ومن ناظر فيه من حيث الصورة الممثلة البشرية فينسبه إلى جبريل. ومن ناظر فيه من حيث الصورة عنه في إحياء الموتى فينسبه إلى الله بالروحية فيقول روح الله أي به ظهرت الحياة فيمن نفخ فيه، فتارة يكون الحق فيه متوهماً ـ اسم مفعول ـ وتارة يكون الملك فيه متوهماً وتارة تكون البشرية الإنسانية فيه متوهمة فيكون عند كل ناظر بحسب ما يغلب عليه. فهو كلمة الله وهو ورح الله وهو عبدالله وليس في ذلك الصورة الحسية لغيره بل كل شخص منسوب إلى أبيه الصوري لا إلى النافخ روحه في الصورة البشرية.[1]

ولبعض المفسرين والدارسين رأي آخر في مسألة خلق عيسى للطير. فيرى هؤلاء أن ادعاء المسيح عليه السلام أنه يبرئ الأكمة والأبرص ويحيي الموتى ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً لا يستلزم أن تلك الخوارق حصلت منه بالفعل وليس في آيات القرآن الكريم ما يدل على أنه فعل تلك العجائب وغاية ما تدل عليه الآيات أنه كان عنده استعداد وفيه قوة على عمل ذلك. ومع تسليمنا بما يقول فإن النفس مطمئنة إلى أنه عمل تلك العجائب أمام أعين بني إسرائيل وذلك ظاهر في قوله تعالى ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

---

(١) ابن عربي فصوص الحكم ص ١٤١ ـ ١٤٢

عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾
[المائدة / ١١٠].

بقي أن نقول أن هذه الخوارق رويت عن المسيح عليه السلام في الأناجيل ولم يرو عنه فيها أنه صور من الطين كهيئة الطير ثم نفخ فيه فكان طيراً. ولا غرابة في ذلك فقد ذكر القرآن الكريم عن أهل الكتاب أنهم نسوا حظاً مما ذكروا به. ولقد كانت هذه الخوارق سبباً لافتتان فريق من الناس به حتى وصفوه بأنه ابن الله على معنى البنوّة الحقيقية وآخرون قالوا إنه الله حتى عُبد وتكلف قومه لعبادته ضروباً من المسوغات يرفضها العقل ويمقتها العلم.(١)

أما رواد الفكر المسيحي فيرون أن معجزات السيد المسيح برهان على ألوهيته. إن تعريف المعجزة حسب مفهوم الوحي الإلهي هو عمل أو حدث علني أجري بقوة الله المباشرة بقصد إثبات صحة رسالة الرسول. لكن المعجزات التي قام بها السيد المسيح تختلف من حيث طبيعتها ومداها وأسلوبها عن المعجزات التي جرت على أيدي الأنبياء والرسل. وأساس الاختلاف هذا هو أنه بخلاف الوضع مع الأنبياء والرسل فإن المسيح حقق ما حققه من أعمال معجزية بقوته هو لا بواسطة قوة خارجة عنه. عندما تحققت المعجزات على أيدي الرسل والأنبياء أصروا دائماً على أن ما عملوه لا يرجع إلى قوتهم الشخصية. مثلاً، عندما انشطرت مياه البحر الأحمر وعبر بنو إسرائيل على اليابسة في قلب المياه لم يتردد كليم الله موسى في أن ينسب العمل للّه وهذا أيضاً ينطبق على أيام العهد الجديد فعندما شفى الرسولان بطرس ويوحنا الرجلَ الأعرج الواقف على بوابة الهيكل كان ردهما على تعجب الجموع التي شاهدت المعجزة هكذا: ما بالكم تتعجبون من هذا ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو

---

(١) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء صفحة ٤٤٧ ـ ٤٥٧

تقوانا قد جعلنا هذا يمشي. لكن عندما شفى المسيح المرضى وأخرج الأرواح النجسة أو أقام الموتى أو أوقف هيجان البحر فإنه قام بكل ذلك بقوته غير المحدودة. وقد كشف عن ذلك بدون تردد قائلاً: الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي تشهد لي إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه.[1]

هذا ملخص ما يقوله رواد الفكر المسيحي حين يتعرضون لدراسة معجزات المسيح وينسبونها له على أنه الله وأنها صدرت بدون معونة من غيره.

والواقع أن هناك ملاحظات وردود على ذلك تبين قصر نظر هؤلاء:

١ ـ يقول رواد الفكر المسيحي تختلف المعجزات من حيث طبيعتها ومداها وأسلوبها. أما من حيث طبيعتها، فإحياء الموتى يعني وضع الروح أو إعادتها إلى الجسد فيعود إلى حياته وحركته. وموسى عليه السلام قلب العصا ثعباناً. والعصا جماد ليس فيه روح، فقلب من ليس يصلح ليكون حيواناً أو إنساناً إلى حيوان وفيه روح ففي المقياس العلمي من أصعب ومن أشد إعجازاً معجزة عيسى أم معجزة موسى؟

أما من حيث مداها إن كان المدى زمانياً أو مكانياً فمعجزات موسى أقوى مكانياً وأقوى زمانياً وقارن بين معجزة شق البحر بالعصا وأي معجزة قام بها المسيح عليه السلام.

٢ ـ ويقولون إن المسيح حقق ما حقق من معجزات بقوته هو، فمن الذين أدراهم أن المسيح فعل معجزاته بقوته هو؟ إذا كان هو صرح بذلك فهذا يخالف قولهم أنفسهم (الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي تشهد عليّ) فهو حسب قولهم

---

(١) القس منيس عبد النور، هل تجسد المسيح، ص٤٠ مكتبة دار نداء الرجاء حمص سوريا دون تاريخ.

يعمل المعجزات باسم أبيه وليس باسمه هو، بمعنى أنه لو فعل باسمه دون اسم أبيه لما فعل معجزة واحدة.

٣ ـ ويقولون فإنه قام بكل ذلك بقوته غير المحدودة. فإذا كان المسيح ذا قوة غير محدودة فكيف لم يستطع بهذه القوة أن يفلت من يد معتقليه عندما ألقوا عليه القبض وأرادوا صلبه حسب قول أناجيلهم؟ ألا يدافع عن نفسه على الأقل حتى لا يُقبض عليه ويُعذّب ثم يُصلب؟ وإذا قلتم أن الصلب جاء ليبرهن على غفرانه لخطيئة بني البشر فهو راضٍ عن صلبه وقتله. فنقول هل يعقل أن يدفع إنسان نفسه للصلب والقتل وهو قادر أن ينجو بل أن يرد على أعدائه بمعجزات أخرى تُبقي على حياته؟ كيف يسمح ذو القوة غير المحدودة أن يُبصَق في وجهه ويتحمل وضع إكليل من الشوك على رأسه وشتمه من قبل أعدائه. إذاً فالمسيح نبيٌ بشر قام بمعجزاته بعون من الله وهذا ما نص عليه القرآن الكريم. وما ينص عليه العقل والعلم والمنطق التحليلي.

الحواريون والمسيح عليه السلام

لاشك أن دعوة كافة الأنبياء تتوجه في البداية لمن يتوسم فيهم النبي التقوى والصلاح والاستجابة. والمسيح عليه السلام عندما كلف بتبليغ الدعوة أوجد عدداً من خاصة الناس الذين تلقوا تعاليمه قبل غيرهم.

وقد ذكرت الأناجيل تلاميذ المسيح وأوردت بعض أسمائهم وطريقة التقائهم بالمسيح وقد أوردت أن التلاميذ الأوائل كانوا اثني عشر رجلاً وتذكر الأناجيل أنهم بلغوا سبعين رجلاً، لكن الأناجيل نفسها لا تورد أسماء السبعين ولا يوجد أي بيان عن أسمائهم.

وقد جاء في إنجيل مرقص (وصعد الجبل ودعا الذين أرادهم فأقبلوا إليه فأقام منهم اثني عشر يصحبونه فيرسلهم يبشرون ولهم سلطان يطردون به الشياطين فأقام الاثني عشر وهم بطرس وهو اللقب الذي جعله لسمعان ويعقوب بن زبدي ويوحنا أخو يعقوب ولقبهما دوانرجس أي ابني الرعد وأندراوس وفيلبُس وبرتلماوس ومتى وتوما ويعقوب بن حلفى وتداوس وسمعان الغيور ويهودا الاسخريوطي ذاك الذي أسلمه وجاء إلى البيت فعاد الجميع إلى الازدحام حتى لا يستطيعوا أن يتناولوا طعاماً) الفصل ٣ صفحة ١٦٤.

وجاء في إنجيل لوقا: وفي تلك الأيام ذهب إلى الجبل ليصلي فأحيا الليل كله في الصلاة لله. ولما طلع الصباح دعا تلاميذه فاختار منهم اثني عشر سمّاهم رسلاً وهم سمعان وسماه بطرس وأندراوس وأخوه يعقوب ويوحنا وفيلبس

وبرتلماوس ومتى ولوقا ويعقوب بن حلفى وسمعان الذي يقال له الغيور ويهوذا بن يعقوب ويهوذا الاسخريوطي الذي انقلب خائناً.

ونلاحظ أنه ورد في إنجيل مرقص اسم تداوس ولم يرد اسمه في إنجيل لوقا بينما ورد اسم يهوذا بن يعقوب في إنجيل لوقا ولم يرد في إنجيل مرقص. وقد تحدث سفر أعمال الرسل عن برنابا في عدة مواضع، ويرد في هذا السفر (وإن لا ويّا قبرسيا اسمه يوسف ولقبه الرسل برنابا أي ابن الفرج كان يملك حقلاً فباعه وأتى بثمنه فألقاه عند أقدام الرسل). أعمال الرسل صفحة ٤٨. وتعترف الأناجيل أن بولس (شاؤل) أحد الذين تتلمذوا على الحواريين وكان برنابا هو الذي دلّ بولس على الدين الجديد بعد أن كان يهودياً ثم خرج برؤيا خاصة به تختلف عما تلقاه الحواريون عن السيد المسيح. وذكرت بعض الكتب أسماء آخرين من تلاميذ المسيح والرسل وعُدوا من السبعين تلميذاً الأوائل.

وتحت عنوان دعوة التلاميذ الأولين يرد كيف أن المسيح عليه السلام التقى بتلاميذه (كان يسوع سائراً على شاطئ بحر الجليل فرأى أخوين هما سمعان الذي يقال له بطرس وأندراوس أخوه يلقيان الشبكة في البحر لأنهما كانا صيادَيْن فقال لهما اتبعاني أجعلكما صيادي بشر. فتركا الشبكة من ذلك الحين وتبعاه. ثم مضى في طريقه فرأى أخوين آخرين هما يعقوب ابن زبدي ويوحنا أخوه مع أبيهما زبدي في السفينة يصلحان شباكهما فدعاهما فتركا السفينة وأباهما من ذلك الحين وتبعاه) متى ص ٤٣.

ويأتي في إنجيل متى: (ومضى يسوع فرأى في طريقه رجلاً جالساً في بيت الجباية اسمه متى فقال له اتبعني فقام وتبعه). متى ٦١.

ومن الطبيعي أن يكون تلاميذ المسيح من اليهود أو من الرومان. على أن المصادر المسيحية تشير إلى أن تلاميذه الأولين كانوا من اليهود.

ويتضح أن مرقص ليس من تلاميذ المسيح ويقولون حسب المصادر المسيحية أنه كان يهودياً من بيت لاوي وقد ولد في إقليم الخمس مدن تتلمذ على يد بطرس الرسول وقتل في الإسكندرية كما يذكر ذلك سفر أعمال الرسل عام ٦٨ م على يد الوثنيين في عهد نيرون.

ولوقا لم يكن من تلاميذ المسيح أيضاً والأغلب أنه من أهل أنطاكية وأنه تلميذ بولس الذي كان عدواً لدوداً للمسيحية وقد آمن بالمسيح بعد رفعه وهو الذي شيد أركان المسيحية. واتفق العلماء على أن لوقا لم ير المسيح.

أما يوحنا فيرى الكثير من علماء النصارى أنه أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر وهو ابن زبدي الصياد.

لكن بعض المصادر المسيحية تقول: (أما المؤلف وتاريخ وضع الإنجيل الرابع فلسنا نجد في الإنجيل أي دليل واضح عليهما. وليس هناك إشارة إلى يوحنا مؤلف الإنجيل هو يوحنا تلميذ المسيح المذكور على أنه ابن زبدي لأنه ليس هناك إشارة إلى أن يوحنا تلميذ المسيح كان مؤلفاً أو أنه ألّف إنجيلاً ما.

أما متى فإن الإنجيل لا يذكر عنه شيئاً بالنسبة إلى تأليف الإنجيل. فتلميذ المسيح متى ليس متى الذي كتب الإنجيل الأول.

وتورد الأناجيل بعض صفات تلاميذ المسيح، فقد ورد في إنجيل متى أن المسيح جعل بطرس رئيس الكنيسة (أنت صخر وعلى الصخر سأبني كنيستي) متى ص٩٣.

وفي الوقت نفسه يقول إنجيل لوقا إن المسيح أنبأ بإنكار بطرس له. فقال لا يصيح الديك اليوم حتى تنكر ثلاث مرات أنك تعرفني.

وفعلاً، فقد أنكر بطرس أنه يعرف المسيح وقد ورد ذلك في إنجيل لوقا بعد اعتقال يسوع. يقول لوقا: (وقعدوا وقعد بطرس بينهم فرأته جارية قاعداً عند

اللهب فتفرست فيه وقالت وهذا أيضاً كان معه فأنكر وقال يا امرأة إني لا أعرفه وبعد قليل رآه رجل فقال أنت أيضاً منهم فقال بطرس يا رجل لست منهم ومضى نحو ساعة فقال آخر مؤكداً هذا أيضاً: كان معه فهو جليلي فقال بطرس يا رجل لا أدري ماذا تقول. وبينما هو يتكلم إذا بديك يصيح). لوقا الفصل ٢٢ ـ ص٣٣٠.

وينبئ المسيح بخيانة تلميذه يهوذا، ويقول مرقص: (وذهب يهوذا الاسخريوطي أحد الاثني عشر إلى الأحبار ليسلمه إليهم ففرحوا لسماع ذلك ووعدوه بأن يعطوه شيئاً من الفضة فأخذ يطلب كيف يسلمه في الوقت الموافق) مرقص الفصل ١٤ صفحة ٢٨.

ويورد إنجيل متى عن يأس يهوذا وانتحاره: (فلما رأى يهوذا الذي أسلمه أن قدحكم عليه ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى الأحبار والشيوخ.. وانصرف ثم ذهب فشنق نفسه) متى الفصل ٢٧ ـ صفحة ١٣٩.

فالذي يفصح عنه الإنجيل هو أن اثنين من تلاميذ المسيح الاثني عشر ليسوا أهلاً لأن يكونوا تلاميذ حقيقيين وحواريين صادقين. فالأول أنكر أنه يعرف المسيح ثلاث مرات والثاني خانه خيانة عظمى أودت حسب قول الإنجيل بالمسيح إلى القبض عليه والحكم عليه بالصلب والموت.

وإذا عدنا إلى النص القرآني نراه يتحدث عن الحواريين في عدة مواضع.

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ۖ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران/ ٥٢ ـ ٥٤].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة/ ١١١ ـ ١١٥].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف/ ١٤].

فالحواريون حسب نص القرآن الكريم هم أنصار دين الله وأنهم أسلموا وجوههم لله وآمنوا بالله وما أنزل على نبيه عيسى واتبعوه وأشهدوا على أنفسهم.

وفي الآية الثانية تأكيد على أن الله سبحانه قد أوحى للحواريين أن آمنوا بي رباً وبعيسى نبياً فآمنوا وشهدوا على أنفسهم أنهم مسلمون أسلموا قلوبهم ووجودهم لله الواحد والآية الثالثة تشير إلى أن الحواريين ناصروا المسيح وكانوا من بني إسرائيل. وقد حدد الله سبحانه أن طائفة من بني إسرائيل آمنت وأن طائفة أخرى قد كفرت.

ويتضح مما تقدم أن الحواريين ليس لهم علاقة بالأناجيل ولا بكتابتها لأن الإنجيل أنزل على عيسى عليه السلام ولم ينزل على الحواريين. وقد تلقى هؤلاء الحواريون تعاليم المسيح مباشرة ونشروها بين بني إسرائيل وقد لاقوا الكثير من

الآلام في سبيل دعوتهم خاصة بين الوسط اليهودي والوسط الروماني الوثني.

ولعلنا ونحن ندرس حياة تلاميذ المسيح وحوارييه لابد لنا أن نتعرف على مواقفهم من الأحداث المفصلية التي مر بها السيد المسيح عليه السلام.

وأعتقد أن أهم حدث حسب رواية الأناجيل هو حدث القبض على المسيح ومحاكمته ثلاث مرات حتى يثبتوا عليه تهمة التخريب والمروق والكفر حسب ما يدعيه الذين كفروا من بني إسرائيل.

فمن خلال تحليل موقف هؤلاء التلاميذ نرى أن متى الذي يزعم بعضهم أنه من حواريي المسيح لم يتحدث في إنجيله كشاهد عيان رأى بعينه ما يرويه وهو بالتأكيد لم يشاهد أو يشهد محاكمات المسيح الثلاث أمام اليهود وبيلاطس وهيرودس ولم يشهد حادث الصلب وحادث الدفن على الرغم من ورود ذلك في إنجيله.

والواقع أن تلاميذ السيد المسيح هربوا جميعاً عند القبض عليه كما يذكر متى في إنجيله حيث يقول (في تلك الساعة قال يسوع للجموع أَعَلى لص خرجتم تحملون السيوف والعصي لتقبضوا عليّ كنت كل يوم أجلس في الهيكل أعلم فلم تمسكوني وإنما حدث ذلك كله لتتم كتب الأنبياء فتركه التلاميذ كلهم وهربوا). متى ٢٦ : ٥٥ ـ ٥٦. وهذا يؤكد أن هؤلاء التلاميذ لم يشهدوا ما حدث عندما قُبض على المسيح وحاكمه اليهود والرومان. والأمر الطبيعي بالنسبة لمثل هؤلاء التلاميذ أن يهربوا لئلا يتعرضوا للانتقام من قبل اليهود. ومن غير المعقول أن يسمح اليهود والرومان وهم أعداء المسيح لتلاميذه بشهود محاكمات المسيح والصلب والدفن خاصة أن اليهود كانوا يتخوفون من محاولة التلاميذ سرقة جسد المسيح وادعائهم بعد ذلك أنه قام من الأموات كما ذكر متى نفسه. أما لوقا فقد

قال إن جميع معارف المسيح كانوا ينظرون إليه من بعيد عند الصلب.[1]

والواقع، أننا لو ناقشنا ما جاء في الأناجيل وهي تتحدث عن تلاميذه نجد بعض الاختلافات في الرواية، كما نجد شخصية بطرس مهزوزة الإيمان غير واثقة من نفسها. وقد ذكرنا كيف أنبطرس أنكر المسيح ومعرفته به، ولكن الأناجيل الثلاثة متى ولوقا ويوحنا تتفق على القول إن بطرس ينكر المسيح ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك بينما ينفرد إنجيل مرقص بقوله إن بطرس ينكر المسيح قبل أن يصرخ الديك مرتين وليس ثلاث مرات.

وقد ورد قوله: (فإن خادم الكوهن قال له: أنت من أصحاب يسوع فجحد ثم صرخ الديك ثم قالت الخادم للواقفين هنالك هذا من أولئك فجحد ثانية. ثم قال الواقفون هنالك حقاً إنك منهم؟ فجحد ثالثة أيضاً ثم صرخ الديك ثانية. فعلى قول مرقص كذّب متى ولوقا ويوحنا لأن الديك صرخ قبل أن يجحد ثلاث مرات أو كذب المسيح عليه السلام في إخباره بذلك إن كان هؤلاء صدقوا لابد من إحداهما).[2] وعلى قول متى ولوقا ويوحنا كذب مرقص أيضاً كذلك لأن الديك صرخ قبل أن يجحد ثلاث مرات أو كذب المسيح لابد من إحداهما والكذب واقع في أحد الخبرين ولابد.

وعندما نحلل نص الإنجيل مرة أخرى وهو يتحدث عن شخصية مرقص فإنجيل متى ومرقص يتفقان على أن السيد المسيح أخبر بطرس بأنه سيجحده تلك الليلة وأن بطرس ردّ خبره وقال له لا يكون هذا فلولا أن المسيح كان عند بطرس ممن يكذب في خبره ما كذبه مواجهة مرة بعد مرة أو كفر بطرس إذ كذب ربه.. أو نبياً. فإن كان كفر بطرس فكيف يعطي مفاتيح السموات لمرتد كافر

---

(١) محمد السعدي، حول موثوقية الأناجيل ص٢٩-٣٠.

(٢) ابن حزم، الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص١٢٢.

ومكذّب لله أو لنبي من الأنبياء جهاراً أم كيف يولى رتبة التحريم والتحليل من يكذب الله تعالى أو نبيه أو كيف يؤخذ الدين عمن يكذب ربه أو كذب خبر نبي من الله تعالى جهاراً في آخر ساعة كان فيها معه وختم بذلك عمله؟[٣]

ويستدل من ذلك أن بطرس عاند المسيح عليه السلام ورفض نبوءته بل أصر على أنه لن يخونه ولن يفعل ذلك أي أنه لن ينكره كما قال المسيح عليه السلام. ويبدو من خلال ذلك أنه وقع في ذنبين الأول أن المسيح أخبره بأنه سينكره وهو رفض ذلك. ثم إنه لما قبض على المسيح وقع في المطب الثاني وكذب نفسه حيث أنكره ثلاث مرات.

---

(١) ابن حزم، الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص١٢٣.

مريم العذراء... لماذا... وكيف؟

ماذا تقول الأناجيل عن مريم أم عيسى عليه السلام؟

ماذا يقول القرآن الكريم عن مريم العذراء أم عيسى عليه السلام؟

للأشخاص الذين ذكرت أسماؤهم في حياة المسيح شأن هام في حياته وفي الفكر المسيحي والأناجيل بشكل عام.

ولما كانت مريم العذراء أم السيد المسيح عليه السلام أكثر الناس قرباً من ابنها فقد حظيت بأحاديث كثيرة جاءت بها الأناجيل. وكذلك فإن القرآن الكريم أولاها الأهمية الكبرى لعدة اعتبارات منها لأنها مختارة من الله سبحانه فقد اصطفاها الله على نساء العالمين في عصرها. ولأنها حملت بالمسيح من روح الله ولأنها كانت قريبة وملاصقة لعقيدة التوحيد التي انحرف عنها بنو إسرائيل بينما هي عابدة راكعة ساجدة كما وصفها القرآن الكريم.

ومع كل ذلك فقد أثارت أقوال الأناجيل في مريم وكذلك ما جاء به الفكر المسيحي الكثير من التساؤلات والإشكالات يصل بعضها حدّ الدخول في صلب العقيدة النصرانية. لقد اختلفت الفرق المسيحية في تقييمها لشخصية مريم العذراء، فمنها من جعلها إلهة كما هو ابنها إله على حد قول النصارى، ومنهم من جعلها قديسة ولا تصل مرتبة الألوهية.

فالأرثوذكس يرون أن الله سكن في العذراء في التجسد والكنيسة الأرثوذكسية تكرم العذراء لحلول الروح القدس عليها ولأنها حسب قولهم والدة الإله. ويتشفعون بها ويذكرونها في صلواتهم. ويقول الأرثوذكس نحن لا نصلي

للعذراء ولكننا نكلمها أثناء صلاتنا نتوسل إليها أن تتشفع فينا، ويرون أن العذراء مع المسيح فهي والدة الإله حسب رأيهم.

أما البروتستانت، فلا يكرمون السيدة العذراء ولا يطلبون شفاعتها وربما كرد فعل لمبالغة الكاثوليك في إكرامها يبالغون هم أيضاً في عدم إكرامها حتى ليقول بعضهم إنها مثل قشرة البيضة لا قيمة لها بعد خروج الكائن الحي منها. وهم لا يحتفلون بأي عيد من أعيادها وقال بعضهم إنها أختنا وبالإضافة إلى هذا يقولون إنها بعد ميلاد المسيح عاشت مع يوسف النجار كزوجة وأنجبت منه أولاداً سموا إخوة يسوع أو إخوة الرب.

ويهاجم البروتستانت بعض ألقاب تلقبها بها الكنيسة ويستخدمون لقب أم يسوع بدلاً من لقب والدة الإله كما يرى الأرثوذكس، (ويرون أن مريم أم المسيح ابن الله في الحقيقة ووالدته في الحقيقة لا أم لابن الله إلا هي. ولا والدة له غيرها ولا أب لابنها إلا الله ولا ولد له سواه وأن الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه من بين سائر النساء. ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلا عن وطء الرجال لها ولكنها اختصت عن النساء بأنها حبلت بإبن الله وولدت ابنه الذي لا ابن له في الحقيقة غيره ولا والد له سواه وإنها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى والد ابنها وابنها عن يمينه. والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق وصحة البدن وطول العمر ومغفرة الذنوب وأن تكون لهم عند إبنها ووالده الذي يعتقد عامتهم أنه زوجها ولا ينكرون عليهم ذلك سوراً وسنداً وذخراً وشفيعاً وركناً ويقولون في دعائهم (يا والدة الإله اشفعي لنا) وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين ويسألونها ما يسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة حتى أن اليعقوبية يقولون في مناجاتهم لها (يا مريم يا والدة الإله كوني لنا سوراً وسنداً وذخراً وركناً). والنسطورية يقولون: (يا والدة المسيح كوني لنا كذلك ويقولون لليعقوبية لا تقولوا يا والدة الإله وقولوا يا والدة المسيح

فتقول لهم اليعقوبية المسيح عندنا وعندكم إله في الحقيقة فأي فرق بيننا وبينكم في ذلك ولكنكم أردتم مصالحة المسلمين ومقاربتهم في التوحيد).[1]

ويرى الأرثوذكس أن في مريم التقى الإله والإنسان لقاء عجيباً الأقنوم الثاني من الثالوث ضم إلى أقنومه إنساناً. ويرون أن مصير مريم ارتبط بمصير يسوع فكان لابد لها من أن تفارق الجسد وكان لابد ليسوع من أن يقيمه كما أقام جسده في اليوم الثالث ومريم المطهرة غير خاضعة للدينونة العامة فاخترقت السماء وجلست إلى يمين ابنها الحبيب قبل الدينونة العامة دخلنا المجد الأبدي في شخص العذراء.[2]

ويقولون: بشرها جبريل باختيار الله لها أما لابنه قبلت العرض فنزل الله إلى بطنها يتخذ منه طبيعتنا البشرية بعد أن طهرها الروح القدس لكي تكون طبيعة يسوع هذه بلا خطيئة. كيف هي أم الله؟ هذا سر إلهي عبّر عنه اللاهوت المسيحي بوحدة أقنوم يسوع غير المنقسم ولا المتجزئ. هذه التسمية تتضمن سر خلاصنا أي اتحاد الطبيعتين الإلهية والإنسانية في أقنوم يسوع.[3] أما مريم فصارت مسكناً لله دون أن تفقد الحياة بل صارت أماً لله وللحياة. فأين موسى وغير موسى من العذراء مريم أين الثرى من الثريا؟[4] ويعتقد الكاثوليك والأرثوذكس بأن جسد مريم العذراء صعد إلى السماء وينكر ذلك البروتستانت.

---

(١) ابن القيم، هداية الحيارى، ص١٩١ ـ ١٩٢.

(٢) اسبيرو جبور، المرأة في نظر الكنيسة، ص١٣ ـ ١٤.

(٣) اسبيرو جبور، المرأة في نظر الكنيسة، ص٣٩.

(٤) اسبيرو جبور، المرأة في نظر الكنيسة، ص٤٠.

ماذا يقول القرآن الكريم بشأن مريم؟

لقد ذكر عيسى عليه السلام على أنه عيسى بن مريم مرات عدة في القرآن الكريم. ففي سورة البقرة الآية ٨٧ وآتينا عيسى ابن مريم. وفي البقرة ٢٥٣ وآتينا عيسى ابن مريم. وفي آل عمران الآية ٤٥ اسمه المسيح عيسى ابن مريم. وفي النساء الآية ١٥٧ إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم. وفي النساء ١٧١ إنما المسيح عيسى ابن مريم. وفي المائدة ٤٦ وقفينا على أثرهم بعيسى ابن مريم. وفي المائدة ٤٨ على لسان داود وعيسى ابن مريم. وفي المائدة ١٠٩ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم. وفي المائدة ١١٢ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم. وفي سورة مريم ذلك عيسى ابن مريم. وفي الصف وإذ قال عيسى بن مريم. وفي المائدة ١٧ أيضاً إن الله هو المسيح ابن مريم ـ يهلك المسيح بن مريم.

فنلاحظ التسمية التي يطلقها الله سبحانه على النبي عيسى فهو ابن مريم. وتكرار ذلك تأكيد قرآني واضح على بشرية المسيح وبشرية أمه. وكأن الصفة ـ ابن مريم ـ أصبحت عَلَماً خاصاً لعيسى عليه السلام. إن هذا الأسلوب القرآني يقول لنا إن المسيح نبي وهو بشر وليس ابن الله ولا الله فهو دون الخالق الذي خلقه من غير زواج بين مريم وأي رجل. وتكرار ـ ابن مريم ـ تمييز له عن شخص اسمه عيسى. فهو الوحيد ابن مريم المعني به النبي الذي أوحى الله له بالإنجيل.

وتأتي آيات قرآنية أخرى تجادل النصارى في شخصية مريم وتؤكد على بشريتها كونها أم عيسى عليه السلام.

ففي سورة النساء يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ

وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ۚ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء/ ١٧١].

وفي سورة المائدة يأتي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة/ ١١٧].

ويقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [المائدة/ ١٧].

ويقول تعالى: ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٥].

فمريم حسب النص القرآني هي والدة المسيح عيسى عليه السلام. وفي الآية ١١٧ يبين الله سبحانه أن بعض المسيحيين اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله وهذا يدل على أن بعض فرق النصارى ألّهت العذراء مريم.

ثم توضح الآية الكريمة أن الله سبحانه إن أراد أن يهلك المسيح وأمه مريم

فمن يستطيع أن يرد قضاء الله عنهما. وهذا تحدٍّ لمن قال بألوهية المسيح ومريم. فالمسيح لا يملك أن يدفع الموت عن نفسه وكذلك أمه لا تستطيع أن تدفع عنها كونها وكون ابنها مثل بقية البشر من حيث الحياة والموت.

ثم توضح الآية الكريمة أن المسيح عليه السلام رسول خلت من قبله الرسل وأمه صديقة وليست آلهة ولا أم آلهة ولا أم إله. وكانت هي وابنها يأكلان الطعام وينامان ويخرجان مثل بقية البشر.

يقول ابن القيم: وحواء اجعلوها إلهاً خامساً لأنها لا أم لها وهي أعجب من خلق المسيح[1]. وابن القيم يأتي بمثال حواء التي خلقها الله من دون أم فهي إحدى معجزات خلق الله وهذا الخلق لم يؤهلها لكي تصبح آلهة أو زوجة أله أو ما شابه ذلك فلذلك فإن مريم كما صرح القرآن الكريم هي صديقة وهي كباقي البشر من حيث النوع تحيا وتأكل وتشرب وتموت.

ويقول محمد الطاهر التنير: وأما قول النصارى عن مريم العذراء أنها والدة الإله مثل والدات الآلهة عند الوثنيين فهو أشهر من نار على علم حتى أنهم ينشدون الأناشيد تعظيماً لها ويتضرعون إليها في أيام مخصوصة يسمونها الأيام المريمية ويلقبونها ملكة السماء ووالدة الإله الممتلئة نعمة وصاحبة المجد على الأرض وفي السماء وما شاكل ذلك من أوصاف التعظيم والتأليه.

يقول داون في كتابه خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخرى: كما نجد عند الوثنيين والدات للآلهة يعظمونهن ويلقبونهن بألقاب التمجيد والتضخيم كذلك نجد عند النصارى والدة للإله يعظمونها ويلقبونها بالألقاب التي يلقب بها الوثنيون بها والدات آلهتهم يؤكد ذلك الرسوم التي يصورونها بها وهي محتضنة ولدها المسيح فإنها مثل الرسوم التي يصور الوثنيون

---

(١) هداية الحيارى ابن القيم ص ٢٠٣.

بها والدات آلهتهم تماماً[1].

وهناك كثير من الرسوم يمكن أن نقابلها بما هو موجود للآن عند النصارى من الصور والتماثيل مع ملاحظة تلك القرون الطويلة التي كانت بين آلهة الوثنيين كبوذا وكرشنا وغيرهما وبين عيسى المسيح إله النصارى[2].

وكان المصريون القدماء يلقبون والدة الإله إيزيس أو والدة المخلص هورس بأسماء عديدة منها السيدة ملكة السماء، نجمة البحر، والدة الإله، الشفيعة، العذراء. ويصورونها واقفة على الهلال يحيط بها عشرة نجوم. كما يصور النصارى مريم العذراء واقفة على الهلال يحيط بها اثنتا عشرة نجمة. غير أن تصوير الوثنيين لوالدات آلهتهم بهذا الشكل سابق لتصوير النصارى لمريم العذراء بقرون عديدة.

وعيدُ دخول المسيح إلى الهيكل وتطهير العذراء الذي يقع في ٢ شباط من كل سنة هو من أصل مصري. فقد كان المصريون يعيّدون إجلالاً وتعظيماً للعذراء (نايث) وفي ذات اليوم يعيّد النصارى هذا العيد[3].

وأهالي بابل وآشور عبدوا عذراء زعموا أنها والدة إله وصوروها وعلى يدها ولدها الإله كما هي الحال عند النصارى تماماً واسم هذه العذراء ميليتا واسم ابنها المخلص تموز.

وقد عبد اليهود عذراء دعوها ملكة السماء كما جاء في سفر إرميا الإصحاح ٤٤ من عدد ١٦ ـ ١٩. قالت اليهود إلى إرميا (إننا لا نسمع لك الكلمة

---

(١) داون: خرافات التوراة والإنجيل ص ٣٣٦ ـ ٣٣٨.

(٢) التنير. العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٠١.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٢.

التي كلمتنا بها باسم الرب. بل سنعمل كل أمر خرج من فمنا فنبخر لملكة السموات ونسكب لها سكائب كما فعلنا نحن وآباؤنا وملوكنا ورؤساؤها في أرض يهودا في شوارع أورشليم فشبعنا خبزاً وكنا بخير ولم نر شراً ولكن في حين كففنا عن التبخر لملكة السموات وسكب السكائب لها احتجنا إلى كل وفنينا بالسيف والجوع وإذا كنا نبخر لملكة السموات ونسكب لها سكائب فهل بدون رجالنا كنا نضع لها كعكاً لنعبدها ونسكب لها السكائب).

وما جاء عن ولادة (مرها) والدة الإله باخوص عند الرومانيين يشابه تمام التشابه ما جاء في إنجيل متى الإصحاح الأول الفقرة ١٨ ـ ٢٤ وقد فسر القديس جيروم اسم مرها بـ مريم وكانوا يلقبونها آلهة البحر ويلقبون مريم والدة المسيح الآن نجمة البحر وكان اليونانيين يدعون والدة الإله العذراء جونو (ملكة السماء) ويعبدونها معتقدين أنها حارسة النساء من المهد إلى اللحد كما تعتقد النصارى اليوم بمريم العذراء[1].

ويطرح الأرثوذكس أوصافاً كثيرة لمريم العذراء. فهي صاحبة كرامة ونالت الكرامة من البشر والملائكة. وهذا واضح في تحية الملاك جبريل لها بقوله السلام لك أيتها الممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنت في النساء.

ويلقبها البروتستانت المنعم عليها بدل كلمة الممتلئة نعمة. ويقولون والدة يسوع بدل القول والدة الإله.

وإذا قارنا بما ورد في القرآن الكريم وجدنا ما يلي:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران/ ٤٢].

---

(١) التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

ويقول تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [من الآية ٣٧ آل عمران].

ويقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ . . ﴾ [المائدة/ ١١٠].

فقد اصطفى الله مريم لتكون أمّاً للمسيح عليه السلام وقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وقد أنعم الله على المسيح وعلى أمه.

وهذا يتقارب مع قول البروتستانت المنعم عليها إذ تتشابه هذه الجملة مع قوله تعالى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك. . أما قولهم الممتلئة نعمة قد تأخذ عدة معان إذ قد يفسرها بعضهم الممتلئة بالمسيح أثناء حملها والمسيح رمز النعمة. وما شابه ذلك. ويرونها ملكة متوجة. وهي شهوة الأجيال كلها فهي التي استطاع نسلها أن يسحق رأس الحية محققاً أول وعد لله بالخلاص.

ويرى الأرثوذكس أن المسيح هو النور الحقيقي فالعذراء أمّ النور الحقيقي وما دام المسيح قدوساً تكون هي القدوس والعذراء أم المخلّص ووالدة الإله ووالدة الرب وهي أم روحية لكل المسيحيين ويطلقون عليها ألقاباً كثيرة فهي المنارة الذهبية وهي تابوت العهد المغشى بالذهب وشُبهت بسلم يعقوب. ويرون أن العليقة التي رآها موسى والنار تشتعل فيها دون أن تحترق ترمز إلى السيدة العذراء التي حل فيها الروح القدس بنار اللاهوت دون أن تحترق. ويلقبونها بالكرمة. والعذراء باب الحياة كما جاء في إنجيل سفر حزقيال على حسب قول النصارى أنها باب المشرق دخل منه رب المجد وخرج وهي باب الخلاص[1].

---

(١) البابا شنوده الثالث، اللاهوت المقارن، ص ٨٦ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩٠.

النبي عيسى وصراعه العقيدي مع اليهود

يتفق أصحاب الأناجيل أن نبوة المسيح عليه السلام بدأت وعمره ثلاثون عاماً ودامت دعوته ثلاث سنين فقط. وهم لا يقولون بأن دعوته كنبي بدأت كذلك إنما يستعيرون كلمة بدأت خدمته. والمقصود بها خدمته لهيكل الرب حيث كان من قبل يخدمون في هذا الهيكل إذا هم نذروا حياتهم للرب، وكانت مريم أمه ممن خدم في هيكل الرب وكذلك زكريا ويحيى.

وفي القرآن الكريم إشارات واضحة إلى خدمة زكريا ومريم في المحراب متوجهين لله المعبود الخالق.

جاء في إنجيل لوقا: (وكان يسوع عند بدء رسالته في نحو الثلاثين من عمره وكان الناس يحسبونه ابن يوسف بن عالي) الفصل ٣: ٢٣ ص ٢٤٣.

ويتفق أصحاب الأناجيل الأربعة على أن يوحنا المعمدان وهو (يحيى بن زكريا) وجد في البرية زمناً وكان يقتات من الجراد والعسل البري وثيابه من أوبار الإبل وعلى حقويه منطَقَة جلد ثم ظهر من ناحية الأردن ينذر الناس بالتوبة، فخرج إليه أهل أورشليم والكور القريبة من الأردن فكان يعمدهم في النهر وينذرهم باقتراب ملكوت السموات.

وذكروا أن المسيح قد جاء إلى يوحنا واعتمد منه في الأردن وأن الروح القدس نزل عليه مثل حمامة ثم أن المسيح بعد ذلك صام في البرية أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ثم جُرب من الشيطان على إثر صومه إذ أحس بالجوع.

جاء في إنجيل متى: (في ذلك الوقت ظهر يسوع وقد أتى من الجليل إلى

الأردن قاصداً يوحنا ليعتمد على يده فجعل يوحنا يمانعه فيقول أنا أحتاج إلى الاعتماد على يدك أو أنت تأتي إلي؟ فأجابه يسوع دعني الآن وما أريد فهكذا يحسُنُ بنا أن نتم كل بر فتركه وما أراد واعتمد يسوع وخرج لوقته من الماء. فإذا السموات قد انفتحت فرأى روح الله يهبط كأنه حمامة وينزل عليه وإذا صوت من السماء يقول هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت) متى الفصل ٣ صفحة ٤٠ وقد ورد ذلك في يوحنا ١٣/ ٦.

وهناك رواية برنابا وهي تقول (ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر كما أخبرني بذلك نفسه صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجني زيتوناً. وبينما كان يصلي في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات يا رب برحمة..) وإذ بنور باهر قد أحاط به وجوق لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون ليتمجد الله. فقدم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة براقة فنزل إلى قلب يسوع الذي عرف به ما فعل الله وما قال الله وما يريد الله حتى أن كل شيء كان عرياناً ومكشوفاً له ولقد قال لي: صدق يا برنابا أني أعرف كل نبي وكل نبوة وكل ما أقوله إنما قد جاء في ذلك الكتاب. ولما تجلت هذه الرؤيا ليسوع وعلم أنه نبي مرسل إلى بيت إسرائيل كاشف مريم أمه بكل ذلك قائلاً له: إنه يترتب عليه احتمال اضطهاد عظيم لمجد الله وأنه لا يقدر فيما بعد أن يقيم معها ويخدمها. فلما سمعت مريم هذا أجابت يا بني إني نُبئت بكل ذلك قبل أن تولد فليتمجد اسم الله القدوس ومن ذلك اليوم انصرف يسوع عن أمه ليمارس وظيفته النبوية)[1].

وما ورد في إنجيل برنابا هو أقرب إلى ما جاء في القرآن الكريم من حيث طبيعة الوحي وبدء الرسالة وتلقي المسيح لإنجيله من قبل جبريل عليه السلام.

ويمكن لنا أن نلاحظ في نص برنابا ما يلي:

---

(١) برنابا ـ الإنجيل من ١ ـ ٨.

١ ـ نزل الوحي عليه ليلقي عليه الإنجيل بعد صلاة ودعاء.

٢ ـ قدّم الملاك جبريل كتاب الإنجيل كأنه مرآة براقة.

٣ ـ أنزل الإنجيل على قلب عيسى المسيح فعرف كل ما فيه بشكل واضح.

٤ ـ كاشف أمه بذلك فقالت له إني أعرف ذلك قبل أن تولد.

ويأتينا النص القرآني موضحاً كل ذلك.

فالإنجيل فيه هدى للناس ونورٌ ومصدقاً لما جاء في توراة موسى.

يقول تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة/ ٤٦].

أما قول برنابا (يا بني إني نبئت بكل ذلك قبل أن تولد) فهذا ما يؤكده القرآن الكريم وذلك في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ . . إلى قوله تعالى: وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ . . ﴾ [آل عمران/ ٤٥ ـ ٤٩ ـ ٥٠].

فمريم أخبرت بما سيكون عليه ابنها المسيح. ولذلك نرى قول إنجيل برنابا يتوافق مع ما ورد في القرآن الكريم.

إذاً فالمسيح نبيٌ بعث لبني إسرائيل وأُنزل عليه كتاب الإنجيل، ليبلغ دعوته للناس. ومن هنا نستطيع أن ندرس مسيرة حياة النبي عيسى وصراعه مع اليهود وأعماله التي قام بها خلال تبلغيه الرسالة.

بين موسى وعيسى عليهما السلام زمن طويل وبين نزول التوراة الحقيقية

على موسى ونبوة المسيح ونزول الإنجيل زمن طويل أيضاً. ومنذ أن نزلت التوراة على موسى ظل بنو إسرائيل يتقلبون من عقيدة لأخرى ويبعث الله لهم الأنبياء ليردوهم عن كفرهم فبعث له داود وسليمان وإلياس وغيرهم من الأنبياء الذين حاولوا إصلاح الدين اليهودي والعودة للتوراة كما نزلت على موسى عليه السلام.

وقد اتفق الباحثون على أن تدوين التوراة تم أيام السبي البابلي على يد عزرا الكاتب وهذا التدوين تم بعد أن فقدت التوراة الحقيقية ولم يعرف أحد مصيرها فدون ما يسمى التوراة من خلال تسجيل الذكريات التي حملها بنو إسرائيل وليس من خلال تواتر كتاب اسمه التوراة من يد إلى يد ومن جماعة لجماعة.

وقد أدخل اليهود كثيراً من التعاليم التي لم تنزل على موسى عليه السلام وبدلوا كثيراً من الحرام والحلال والصلاة والأقوال والأعياد وكل ما يتعلق بالعبادات والمعاملات وبعد أن طال الزمن على تحريفهم جمدت اليهودية وتحجرت تماماً فبعث الله سبحانه نبيه عيسى المسيح ليعيدهم إلى جادة الصواب وليبين لهم حقيقة العقيدة ويرفض تعاليمهم المخالفة لشريعة موسى عليه السلام.

وقد صرحت الأناجيل على لسان المسيح أنه لم يأت ليبطل الناموس والشريعة إنما جاء ليتمم وليكمل.

جاء في إنجيل متى: (لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء ما جئت لأبطل بل لأكمل الحق أقول لكم لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتى يتم كل شيء) متى فصل ٥ : ١٧ ـ ١٨.

وقد أكد القرآن الكريم مراراً أن الله بعث المسيح بن مريم مصدقاً لما في

التوراة. فقال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة/ ٤٦].

فالمسيح عليه السلام كان يعرف أحكام شريعة التوراة لأن الله منحه علمها وعلم الكتاب والحكمة والإنجيل. فإذا ما أراد محاججة اليهود فإنهم يدركون أنه يحاججهم بما يعرفون من التوراة وهذا جانب قوي في حجة النبي عيسى عليهم.

ونرى كثيراً من القضايا العقيدية الشائكة التي كانت مجال صراع بين بني إسرائيل والمسيح عليه السلام. توردها الأناجيل ويركز عليها إنجيل برنابا، لعل ما طرحه السيد المسيح وهو يجادل اليهود يعتبر جوهر المهمة التي بُعث لها.

١ ـ عيد السبت والعمل فيه: من المعروف أن اليهود الذين اعتبروا السبت عيد راحة فرضوا فيه على أتباع اليهودية قيوداً صارمة حتى فوّتوا طاعات كثيرة توجب التقرب إلى الله بتلك الحجة. والله إنما يريد الكف عن الأعمال الدنيوية وأما فعل الخير فإنه لا حرج فيه وليس من الأفعال المنهيِّ عنها.

جاء في إنجيل متى: (١ـ في ذلك اليوم ذهب يسوع في السبت بين الزرع فجاء تلاميذه وابتدؤوا يقطفون سنابل ويأكلون ٢ـ فالفريسيون لما نظروا قالوا هؤلاء تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت ٣ـ فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه ٤ـ كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط ٦ـ ثم انصرف من هناك وجاء إلى مجمعهم ١٠ـ وإذا إنسان يده يابسة فسألوه قائلين: هل يحل الإبراء في السبوت لكي يشتكوا عليه ١١ـ فقال لهم أي إنسان منكم يكون له خروف واحد فإن سقط هذا في السبت في حفرة أما يمسكه ويقيمه ١٢ـ فالإنسان كم هو أفضل من الخروف إذن يحل فعل الخير في السبوت ١٣ـ ثم قال للإنسان مد يدك فمدها فعادت صحيحة كالأخرى) متى ١٢.

فالمسيح في هذه القصة وما يشابهها أحلّ بعضاً مما حرموا لأن التحجر عندهم بلغ حداً لا يطاق والواقع أن عصر المسيح عليه السلام غير العصر الذي نزلت فيه التوراة على موسى وغير العصر الذي دُونت فيه التوراة التي كتبها الأحبار أيام السبي البابلي. فالمسيح عليه السلام حلل بعض ما كان محرماً عليهم ليتناسب ذلك مع العصر الجديد الذي عاش فيه لأن الأحكام المتشددة التي فرضوها ما عادت تصلح لزمن المسيح.

وقد قال تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران/ ٥٠].

٢ ـ محاربة المسيح للمادة: وقد بلغ تحريف اليهود للشريعة حداً بأن الكهنة فرضوا النذور على الناس ليأكلوها هم لا لكي تُقدم للفقراء والمساكين فأرهقوا الفقراء وجوّعوهم وظلوا يحتالون على الناس ويأكلون الحرام باسم الشريعة.

جاء في إنجيل برنابا: (١ـ ودعا أحد المتضلعين من الشريعة يسوعَ للعشاء ليجربه ٢ـ فجاء يسوع هناك مع تلاميذه ٣ـ وكثيرون من الكتبة انتظروه في البيت ليجربوه ٤ـ فجلس التلاميذ إلى المائدة دون أن يغسلوا أيديهم ٥ـ فدعا الكتبة يسوع قائلين لماذا لا يحفظ تلاميذك تقاليد شيوخنا بعدم غسل أيديهم قبل أن يأكلوا خبزاً؟ ٦ـ أجاب يسوع وأنا أسألكم لأي سبب أبطلتم شريعة الله لتحفظوا تقاليدكم ٧ـ تقولون لأولاد الآباء الفقراء قدموا وانذروا للهيكل ٨ـ وهم إنما يجعلون نذوراً من النزر الذي يجب أن يعولوا به آباءهم ٩ـ وإذا أحب آباؤهم أن يأخذوا نقوداً يصرخ الأبناء إن هذه النقود نذر لله ١٠ـ فيصيب الآباء بذلك ضيق ١١ـ أيها الكتبة الكذابون المراؤون أيستعمل الله هذه النقود ١٢ـ كلا ثم كلا ١٣ـ لأن الله لا يأكل كما يقول بواسطة عبده داود النبي هل أكل لحم الثيران وأشرب

دم الغنم؟ ١٤ـ أعطني ذبيحة الحمد وقدم لي نذورك ١٥ـ لأني إن جعت لا أطلب منك شيئاً لأن كل الأشياء في يدي وعندي وفرة الجنة ١٦ أيها المراؤون إنكم إنما تفعلون ذلك لتملأوا كيسكم ولذلك تعشرون السذاب والنعنع ١٧ـ وقد ندب الله هذا بواسطة إشعيا قائلاً: حقاً إن هذا الشعب يعبدني باطلاً ٣٠ لأنهم أبطلوا شريعتي التي أعطاهم إياها عبدي موسى ويتبعون تقاليد شيوخهم ٣١ الحق أقول لكم إن أكل الخبز بأيد غير نظيفة لا ينجس إنساناً لأن ما يدخل الإنسان لا ينجس الإنسان بل الذي يخرج من الإنسان ينجس الإنسان ٣٢).

٣ ـ وجاء أيضاً في إنجيل برنابا: (حينئذ قال أحد الفقهاء يا معلم لقد تكلمت كثيراً في عبّاد الأصنام كأن عند شعب إسرائيل أصناماً ٣٦ ـ وعليه فقد أسأت إلينا ٣٧ـ أجاب يسوع أعلم جيداً أنه لا يوجد اليوم تماثيل من خشب في إسرائيل ولكن توجد تماثيل من جسد ٣٨ـ فأجاب حينئذ جميع الكتبة بحنق: أنحن إذن عبدة الأصنام ٣٩ـ أجاب يسوع الحق أقول لكم لا تقول الشريعة أعبد بل أحب الرب إلهك بكل نفسك وبكل قلبك وبكل عقلك ٤٠ـ ثم قال يسوع أصحيح هذا؟ ٤١ـ فأجاب كل واحد إنه لصحيح).

ثم قال يسوع: (حقاً إن كل ما يحبه الإنسان ويترك لأجله كل شيء فهو إلهه (ب) وهكذا فإن صنم الزانية هو الزاني وصنم النهر والسكير جسده (جـ) وصنم الطماع الفضة والذهب (د) وقس عليه كل خاطئ آخر).

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة/ ٣٤].

٤ ـ أما ما جاء به المسيح من تعديلات في ما حرّمه اليهود فإنها كثيرة. وقد شملت وصايا موسى العشر. وقد قال المسيح لتلاميذه بشأن ذلك. (إن لم يزد

برّكم على بر الكتبة والفريسيين لا تدخلوا ملكوت السموات. سمعتم أنه قيل للأولين لا تقتل فإن من يقتل يستوجب حكم القضاء أما أنا فأقول لكم من غضب على أخيه استوجب حكم القضاء ومن قال لأخيه يا أحمق استوجب حكم المجلس ومن قال له يا جاهل استوجب نار جهنم). متى الفصل ٥ : ٢٠ ـ ٢٣.

ثم يقول: (سمعتم أنه قيل لا تزن أما أنا فأقول لكم من نظر إلى امرأة بشهوة زنى بها في قلبه وقد قيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق. أما أنا فأقول لكم من طلق امرأته في حالة الفحشاء عرضها للزنى ومن تزوج مطلقة فقد زنى) متى فصل ٥ : ٣١ ـ ٣٢.

٥ ـ شهادة الزور والحنث باليمين: ويقول: (سمعتم أيضاً أنه قيل للأولين لا تحنث بل أوف للرب بأيمانك أما أنا فأقول لكم لا تحلفوا أبداً لا بالسماء فهي عشر الله ولا بالأرض فهي موطئ قدميه ولا بأورشليم فهي مدينة الملك العظيم ولا تحلف برأسك فأنت لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة منه بيضاء أو سوداء. فليكن كلامكم نعم نعم ولا لا فما زاد على ذلك كان من الشرير).

وجاء أيضاً: (سمعتم أنه قيل العين بالعين والسن بالسن أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الأيمن فاعرض له الآخر ومن أراد أن يحاكمك ليأخذ قميصك فاترك له رداءك أيضاً ومن سخرك أن تسير معه ميلاً واحداً فسر معه ميلين من سألك فأعطه ومن استقرضك فلا تعرض عنه) متى ٥ : ٣٨ ـ ٣٩.

وجاء أيضاً: (سمعتم أنه قيل أحبب قريبك وأبغض عدوك أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم وصلوا من أجل مضطهديكم) متى ٥ : ٤٣ ـ ٤٤.

وظلت دعوة المسيح تلاقي عناد اليهود من الفريسيين والصدوقيين. وفي كل وقت يحاولون إحراجه بإلقاء أسئلة تعجيزية عليه أو باختراع خطيئة يلصقونها به.

جاء في إنجيل متى : (ودنا الفريسيون والصدوقيون يريدون أن يحرجوه فسألوه أن يريهم آية من السماء فأجابهم عند الغروب تقولون صحو لأن السماء حمراء كالنار. وعند الفجر اليوم مطر. لأن السماء حمراء مغبرة. فمنظر السماء تحسنون تفسيره وأما آيات الأوقات فلا تستطيعون لها تفسيراً، جيل فاسد فاسق يطالب بآية ولن يعطي سوى آية يونان ثم تركهم ومضى) متى ١٦ : ١ ـ ٤ .

وجاء أيضاً : (فدنا إليه بعض الفريسيين وقالوا له ليحرجوه أيحل لأحد أن يطلق امرأته لأية علة كانت فأجاب : أما قرأتم أن الخالق منذ البدء جعلهما ذكراً وأنثى وقال لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصير الاثنان جسداً واحداً فلا يكونان اثنين بعد ذلك بل جسد واحد. فما جمعه الله فلا يفرقه الإنسان فقالوا له فلماذا أمر موسى أن تعطى كتاب طلاق وتسرح قال لهم من أجل قساوة قلوبكم رخص لكم موسى في طلاق نسائكم ولم يكن الأمر منذ البدء هكذا أما أنا فأقول لكم من طلق امرأته إلا لفاحشة وتزوج غيرها فقد زنى. فقال له التلاميذ إذا كانت حالة الرجل مع المرأة هكذا فلا خير في الزواج). متى ١٩ : ٣ ـ ١١ .

ويبلغ الصراع بين المسيح عليه السلام وبين اليهود مداه حين يتوعدهم ويفضح كل تحريفاتهم. وأكثر ما يفصح عن ذلك الفصل ٢٣ من إنجيل متى الفقرة ١٣ وما بعدها. وهذه الفقرات تلخص مجمل ما كان عليه الفريسيون من الانحراف والضلال والسلوك السيئ.

يقول : الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تقفلون ملكوت السموات في وجوه الناس فلا أنتم تدخلون ولا الذين يريدون الدخول تدعونهم يدخلون، الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تجوبون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً فإذا أصبح دخيلاً جعلتموه يستحق جهنم ضعف ما أنتم تستحقون، الويل لكم أيها القادة العميان فإنكم تقولون من حلف بالمَقدِس

فليس هذا بشيء ومن حلف بذهب المقدس فهو ملزم. أيها الجهال والعميان أيما أعظم الذهب أم المقدِس الذي قدس الذهب...

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تؤدون عشر النعنع والشمرة والكمون بعدما أهملتم ما في الشريعة العدل والرحمة والإخلاص.

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تطهرون ظاهر الكأس والصحن وباطنها ممتلئ بما حصلتم عليه بالنهب والطمع أيها الفريسي الأعمى طهّر أولاً باطن الكأس ليصير الظاهر أيضاً طاهراً.

ويقول: الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون ضرائح الصديقين وتقولون لو عشنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء فأنتم تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قتلة الأنبياء فاملأوا أنتم مكيال آبائكم.

ويقول: أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف لكم أن تنجوا من عقاب جهنم من أجل ذلك هأنذا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فبعضهم تقتلون وتصلبون وبعضهم في مجامعكم تجلدون ومن مدينة إلى مدينة تطاردون حتى يقع عليكم كل دم زكي سفك في الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن بركيا الذي قتلتموه بين المقدس والمذبح. الحق أقول لكم: إن هذا كله سيقع على هذا الجيل. متى الفصل ٢٣ الصفحة ١٢٠ ـ ١٢١.

ولكثرة ما عانى من اليهود فقد أنذر أورشليم باعتبارها آنذاك مدينة تجمع فيها اليهود والوثنيين، فيقول: (أورشليم أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أبناءك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا هو ذا بيتكم يُترك لكم قفراً) وتلك إشارة إلى ما سيقوم به الرومان ضد المدينة وسكانها من تخريب وتدمير بسبب الفتن التي أثارها اليهود

والفساد الذي صنعوه بين الناس. ثم يرد في إنجيل متى نبوءة للمسيح عليه السلام تبشر بخراب الهيكل باعتباره رمزاً من رموز الوثنية اليهودية.

جاء في إنجيل متى: (وخرج يسوع من الهيكل فدنا إليه تلاميذه وهو سائر يستوقفون نَظَره على أبنية الهيكل فأجابهم: أترون هذا كله؟ الحق أقول لكم لن يترك هنا حجر على حجر بل ينقض كله) إنجيل متى ١٣: ١ ـ ٣.

نهاية الصراع بين المسيح واليهود والوثنيين

بعد أن عرفنا الصراع الذي دار بين المسيح عليه السلام من جهة واليهود والوثنيين الرومان من جهة أخرى، لابد لنا أن نتوقف ملياً عند نهاية الصراع. لاسيما قد بلغ ذروته عند اليهود حينما دبروا المؤامرة الكبرى للقبض على المسيح وتسليمه للرومان الوثنيين عسى أن يتخلصوا منه ومن دعوته التوحيدية.

ولعل هذه المسألة تستوقفنا كثيراً لما فيها من روايات متناقضة ولما فيها من خلافات جذرية بين ما جاء في الأناجيل وما جاء في القرآن الكريم.

١ ـ القبض على المسيح حسب رواية الأناجيل.

٢ ـ تعذيب المسيح وإهانته عند محاكمته.

٣ ـ صلب المسيح حسب رواية الأناجيل.

٤ ـ دفن المسيح ومن ثم قيامته حسب ما جاء في الأناجيل.

٥ ـ عدم القبض على المسيح من قبل اليهود حسب ما جاء في القرآن الكريم.

٦ ـ عدم صلبه وتوضيح ذلك في القرآن الكريم.

٧ ـ ما الذي جرى للمسيح في هذه الحادثة؟

٨ ـ ماذا يعني رفعه إلى السماء؟

٩ ـ هل مات المسيح أم أنه حي يرزق.

١٠ ـ هل يعود المسيح مرة أخرى للأرض.

وسنرى أموراً أخرى خلال جولتنا في هذه الحادثة التي تعتبر مفصلية في العقيدة النصرانية وكذلك في العقيدة القرآنية.

تتفق الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى الكنيسة على أن اليهود تآمروا على المسيح وسلموه إلى الملك ليُعاقب ويُصلب.

فقد جاء في إنجيل متى: (واجتمع حينئذ الأحبار وشيوخ الشعب في دار عظيم الأحبار وكان يدعى قيافا فأجمعوا على أن يمسكوا يسوع بحيلة ويقتلوه. ولكنهم قالوا لا في حفلة العيد لئلا يحدث اضطراب في الشعب) ٢٦ : ٣ ـ ٤ ـ ٥.

وجاء في إنجيل مرقص: (وكان الأحبار والكتبة يبحثون كيف يمسكونه بحيلة فيقتلونه لأنهم قالوا لا في حفلة العيد لئلا يحدث اضطراب في الشعب) فصل ١٤ : ١ ـ ٢.

وجاء في إنجيل لوقا: (وكان الأحبار والكتبة يبحثون كيف يقتلون يسوع لأنهم كانوا يخافون الشعب فدخل الشيطان في يهوذا المعروف بالاسخريوطي...) ٢٢ : ١ ـ ٢.

وجاء في إنجيل يوحنا: (قال يسوع هذه الأشياء وخرج مع تلاميذه فعبر وادي قدرون وكان هناك بستان فدخله هو وتلاميذه وكان يهودا الذي أسلمه يعرف ذاك المكان لكثرة ما اجتمع فيه يسوع مع تلاميذه فجاء يهوذا بالسرية والحرس الذين أرسلهم الأحبار والفريسيون حتى بلغ ذلك المكان) ١٨ : ١ ـ ٢ ـ ٣.

فنلاحظ أن الأناجيل الثلاثة متى ومرقص ولوقا تتفق على أن الأحبار والكتبة دبروا المؤامرة وهم يتحينون الفرصة لقتل المسيح. بينما إنجيل يوحنا ينفرد برواية أخرى، حيث يدخل مباشرة في الحديث عن المؤامرة.

أما برنابا فيقول: (ولما كان يهوذا يعرف الموضع الذي كان فيه يسوع مع

تلاميذه ذهب رئيس الكهنة وقال إذا أعطيتني ما وعدت به أسلم هـذه الليلة ليدك يسوع الذي تطلبونه لأنه منفرد مع أحد عشر رفيقاً. أجاب رئيس الكهنة كم تطلب قال يهوذا ثلاثين قطعة من الذهب..) برنابا ٢١٤: ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦.

وقد لخص القرآن الكريم هذه الحادثة بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ..... وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران/ ٥٢، ٥٤].

والآية تدل على أن اليهود مكروا ودبروا مؤامرتهم على السيد المسيح عليه السلام.

ويظهر اتفاق عام على أن اليهود دبروا مؤامرة لقتل المسيح.

وحين نتابع قراءتنا للأناجيل سنرى الآتي:

جاء في إنجيل متى: (وبينما هو يتكلم إذا بيهوذا أحد الاثني عشر قد وصل ومعه عصابة كثيرة العدد تحمل السيوف والعصي. وأرسلها الأحبار وشيوخ الشعب وكان الذي أسلمه قد جعل لهم علامة إذ قال هو ذاك الذي أقبله فامسكوه. ودنا من وقته إلى يسوع وقال السلام عليك ربّي وقبله. فقال له يسوع يا صديقي افعل ما جئت له. فدنوا وبسطوا أيديهم إلى يسوع وأمسكوه). متى ٢٦: ٤٧ ـ ٥١.

وجاء في إنجيل مرقص: (وبينما هو يتكلم إذ وصل يهوذا أحد الاثني عشر ومعه عصابة تحمل السيوف والعصي أرسلها الأحبار والكتبة والشيوخ وكان الذي يسلمه قد جعل لهم علامة إذ قال: هو ذاك الذي أقبله فامسكوه وسوقوه محفوظاً). ١٤: ٤٣ ـ ٤٤.

ويأتي في إنجيل لوقا: (وبينما هو يتكلم إذا عصابة يتقدمها المدعو يهوذا

أحد الاثني عشر فدنا من يسوع ليقبله فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟ فلما رأى أصحابه ما أوشك أن يحدث قالوا يا رب أنضرب بالسيف؟).
٢٢ : ٤٧ ـ ٤٩ .

وجاء في إنجيل يوحنا : (فجاء يهوذا بالسرية والحرس الذين أرسلهم الأحبار والفريسيون حتى بلغ ذلك المكان ومعهم ا لمصابيح والمشاعل والسلاح وكان يسوع يعلم جميع ما سيحدث له فخرج وقال لهم من تطلبون) يوحنا ١٨ .

أما إنجيل برنابا فيقول : ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنوّ جمّ غفير فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً وكان الأحد عشر نياماً فلما رأى اللهُ الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد. ٢١٥ : ١ ـ ٨.

أما القرآن الكريم فيقول : ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران/ ٥٤ ـ ٥٥].

ويقول تعالى : ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء / ١٥٨].

فنلاحظ أن الأناجيل التي تعتمدها الكنيسة المسيحية تصر على أن اليهود ألقوا القبض على السيد المسيح . وإنجيل برنابا ينفرد بالقول إن المسيح لما أحس بالخطر بعث الله له ملائكته ورفعوه جسداً وروحاً. وظاهر النص القرآني يؤكد أن المسيح لم يُلق عليه القبض بل رفعه الله إليه .

وهنا لابد من التوقف عند النتيجة التي وصل إليها السيد المسيح بعد القبض عليه حسب الأناجيل الأربعة، وعند النتيجة التي نستشفها من ظاهر الآيات القرآنية الكريمة. فحسب رواية الأناجيل الأربعة أجريت محاكمة للسيد المسيح ورافقها أفعال صدرت عن اليهود كالشتم ووضع إكليل الشوك فوق رأس المسيح وما شابه ذلك. ومن ثم ساقوه إلى الصلب وهو مستسلم.

المحاكمة

يقول إنجيل مرقص: (وكان الأحبار والمجلس كافة يطلبون شهادة على يسوع للحكم عليه بالموت فلم يجدوا. ذلك بأن أناساً كثيرين كانوا يشهدون عليه زوراً قالوا نحن سمعناه يقول: إني سأنقض هذا الهيكل الذي صنعته الأيدي وأبني في ثلاثة أيام هيكلاً آخر لم تصنعه الأيدي. ولا على هذا اتفقت شهاداتهم. فقام عظيم الأحبار في وسط المجلس وسأل يسوع أما تجيب بشيء؟ ما هذا الذي يشهد به هؤلاء عليك؟ فظل صامتاً لا يجيب بشيء. فسأله عظيم الأحبار ثانية قال له أأنت المسيح ابن المبارك فقال يسوع: أنا هو وسوف ترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدير وآتيا في غمام السماء. فشق عظيم الأحبار ثيابه وقال ما حاجتنا بعد ذلك إلى الشهود لقد سمعتم التجديف فما رأيكم؟ فأجمعوا على الحكم بأنه يستوجب الموت وأخذ بعضهم يبصق عليه ويقنّعون وجهه ويلطخونه ويقولون تنبأ وانهال الخدم عليه باللطم). مرقص ١٤: ٥٣-٦٥.

وقد وردت هذه القصة في إنجيل متى وإنجيل لوقا ويوحنا. مع اختلاف في بعض الأمور. أما أن المسيح ألقي عليه القبض فواقع الحال يقول لو كان المسيح هو الله لاستطاع أن ينقذ نفسه وينتقم منهم نقمة شنيعة لأنه قال في السياق أنه سيأتي في غمام السماء وسيجلس عن يمين الله القدير، فكيف يستطيع أن يفعل ذلك ولا يستطيع أن يفلت من أيدي هؤلاء اليهود؟

ونلاحظ أنه بسبب جوابه حسبما ورد في الأناجيل سوف ترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدير وآتيا في غمام السماء شق كبير الأحبار ثيابه وحكم عليه

بالموت. والواقع لو أخذنا بهذه القصة حسبما وردت في الأناجيل لقلنا: إن ظاهر قول المسيح هذا هو تجديف على الله فعلاً، وكان اليهود على حق وصواب حينما قالوا بأنه جدف على الله، وهذا الموقف من أحبار اليهود، حسبما ورد في الأناجيل، هو موقف المؤمنين بالوحدانية الرافضين للوثنية والتجديف على الله. فهل حقاً كان هؤلاء اليهود مؤمنين وموحدين وهل حقاً أن المسيح ادعى أنه سيكون على يمين الله وآتياً في غمام السماء؟

الواقع أن الأناجيل نفسها تشير إلى انحراف اليهود ومعاداتهم للحق والطريق القويم. فإذا كان المسيح فعلاً قد جدف على الله فإن ذلك يتناسب مع عقلية اليهود الذين يجدفون على الله طوال حياتهم ويقتلون الأنبياء. ونعتقد أن اليهود بما جُبلوا عليه من الانحراف لن يضيرهم انحراف المسيح عن دين الوحدانية. إنما الذي يضيرهم أن المسيح كنبي أراد من دعوته إعادتهم إلى سلوك دين الوحدانية والصدق مع الناس وعدم تجيير التوراة لمصالحهم المادية والمالية. وبسبب ذلك جاء عداؤهم له.

ونأتي إلى الفصل ١٥ من إنجيل مرقص حيث يقول: (وما إن كان الفجر حتى اجتمع الأحبار للشورى مع الشيوخ والكتبة والمجلس كله ثم أوثقوا يسوع وساقوه وأسلموه إلى بيلاطس فسألة بيلاطس أأنت ملك اليهود فأجابه هو ما تقول وكان الأحبار يتهمونه اتهامات كثيرة فسأله بيلاطس ثانية أما تجيب بشيء أنظر ما أكثر ما يتهمونك به ولكن يسوع لم يجب بشيء، بعد ذلك حتى تعجب بيلاطس).

وقد ورد في الفقرات التالية: (فأجابهم بيلاطس أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود لأنه كان يعلم أن الأحبار من حسدهم أسلموه).

وجاء فيه: (فماذا أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود فعادوا للصياح أصلبه

فقال لهم بيلاطس فما الذي فعل من شر؟).

فمن الواضح أن بيلاطس تعاطف مع يسوع وكان بإمكانه كملك أن يفلته من بين أيديهم ويمنعهم من فعل الشر معه. وجاء فيه: (وبعد ما جلد يسوع أسلمه ليصلب).

ثم جاء في الأناجيل: (فساقه الجنود إلى داخل الدار، دار الحاكم، ودعوا السرية كلها وألبسوه أرجواناً وكللوه بإكليل ضفروه من الشوك وأخذوا يحيونه فيقولون السلام عليك يا ملك اليهود ويضربونه بقصبة على رأسه ويبصقون عليه). متى ١٢٧: ٢٧-٤١- ومرقص ١٥: ١٦-٢٠ ويوحنا ١٩: ١-٣.

وكل ما ورد في الأناجيل من هذه القصة وجزئياتها لم يتعرض لها القرآن الكريم ولا بأي شكل من الأشكال.

قصة الصلب

في قصة الصلب أمور ترتبط ارتباطاً وثيقاً بـالعقيدة النصرانية. فمنذ نشوء هذه العقيدة اعتبر أتباعها أن الصلب مسألة أساسية لا تقوم تلك العقيدة إلا بها.

وتتفق الأناجيل الأربعة على أن المسيح قد صلب.

يقول إنجيل متى: (وبينما هم خارجون صادفوا رجلاً قيروانياً اسمه سمعان فسخروه أن يحمل صليب المسيح يسوع. ولما وصلوا إلى المكان المعروف بالجلجثة، أي المكان الذي يقال له الجمجمة، ناولوه خمرة ممزوجة بمرارة ليشربها فذاقها وأبى أن يشربها فصلبوه ثم اقتسموا ثيابه مقترعين عليها وجلسوا هناك يحرسونه). ٢٧: ٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦.

وجاء في إنجيل متى عن موت المسيح: (ونحو الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة قال إيلي إيلي لمّا شبقتاني. أي إلهي إلهي لماذا تركتني).

وقد ورد ذلك في إنجيل مرقص الفصل ١٥ وفي إنجيل لوقا في الفصل ٢٣ وفي يوحنا الفصل ١٩.

أما إنجيل برنابا فيقول: (ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع، وكان التلاميذ كلهم نياماً فأتى الله العجيب بأمر عجيب فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبها بيسوع حتى اعتقدنا أنه يسوع). الفصل ٢١٦.

وجاء فيه أيضاً: (فأخذ الجنود يهوذا وأوثقوه ساخرين منه..).

ويقول: (فقادوه إلى جبل الجمجمة حيث اعتادوا شنق المجرمين وهناك

صلبوه عرياناً مبالغة في تحقيره. ولم يفعل يهوذا شيئاً سوى الصراخ يا الله لماذا تركتني فإن المجرم قد نجا أما أنا فأموت ظلماً). الفصل ٢١٧.

أما في القرآن الكريم فيقول الله سبحانه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء/ ١٥٧ ـ ١٥٨].

والواضح أن القرآن الكريم يؤكد عدم صلب المسيح لكنه لا يورد قصة يهوذا على الرغم من أن الآية الكريمة تشير إلى أنه شبه لهم وقد يحتمل هذا اللفظ عدة معان، منها أن الله سبحانه شبه لهم شخصاً آخر بالمسيح، ومنها أيضاً أنه شبه لهم أنهم صلبوا المسيح، بمعنى ظنوا أو حسبوا أنهم صلبوه وما صلبوه.

وبعد أن أوردنا ما قالته الأناجيل وما قاله القرآن الكريم نتوقف عند الحادثة نفسها لنتحقق من وقوعها أو عدم وقوعها على ضوء التحليل المنطقي وعلى ضوء ما أقره الله سبحانه في القرآن الكريم.

١ ـ إذا عدنا إلى كتبة الأناجيل وتساءلنا من كان الشاهد منهم على صلب المسيح؟ هل كان متى أو لوقا أو مرقص أو يوحنا شاهدين عندما صُلب المسيح؟ فمتى لا نعرف عنه شيئاً باعتراف الأناجيل نفسها. وتقول المصادر المسيحية إن المؤلف متى يعرف من عمله فهو طويل الباع في علم الكتاب المقدس والتقاليد اليهودية وكثير من الباحثين اللاهوتيين يقولون إن متى كتب إنجيله نحو سنة ٨٠ ميلادية. وهذه الأمور تعني أن متى لم يرَ المسيح فكيف يكتب عن صلبه الذي لم يشاهده قطعاً والواضح أن متى ينقل أخباراً قد يكون نقلها له أحد اليهود زيادة في امتهان شخصية المسيح عليه السلام.

ومرقص صاحب الإنجيل الثاني، لم يشاهد المسيح ولا شاهد شيئاً من

حياته أو صلبه وقد نسب الإنجيل المرقصي لمرقص بعد ١٥٠ سنة على ميلاد المسيح. وليس هو من تلاميذ المسيح الاثني عشر. إذاً فشهادة إنجيله على صلب المسيح شهادة باطلة لأنها تفتقد إلى الموثوقية وربما - وهذا هو الأصح - قد نقلها بطرس عن رواة ليس لهم علاقة بالمسيح ولا بعقيدته.

أما لوقا فتعترف المصادر المسيحية أنه ينتمي إلى العالم الهلنستي بلغته وأسلوبه وقد ذكره الرسول بولس وبولس هو اليهودي الذي أصبح رسولاً مسيحياً وابتدع الكثير من العقائد التي لا تمت بصلة لحقيقة العقيدة النصرانية. ولوقا ليس من حواريي المسيح الاثني عشر ولم يعش معه ولم يشاهد صلبه.

أما إنجيل يوحنا فينسب إلى يوحنا الذي تدعي الأخبار المسيحية أنه عاصر المسيح وإنجيله أقدم الأناجيل. وتقول المصادر المسيحية: فمن الأرجح أن الإنجيل كما هو بين أيدينا أصدره بعض تلاميذ المؤلف فأضافوا عليه الفصل ٢١ ولا شك أضافوا أيضاً بعض التعليق. أما المؤلف وتاريخ وضع الإنجيل الرابع فلسنا نجد في المؤلف نفسه أي دليل واضح عليهما[١].

وإذا كان كثير من المسيحيين يعتبرون أن يوحنا من تلاميذ المسيح الاثني عشر فإن شهادته على ما يسمى صلب المسيح ليست شهادة صادقة وليست واقعية لأن الأناجيل نفسها تشير إلى أن تلاميذ المسيح كانوا قد هربوا عندما ألقي القبض عليه خوفاً على نفوسهم من انتقام اليهود والرومان.

ومن خلال ما تقدم ندرك أن الشهادة الإنجيلية على صلب المسيح صدرت عن أناس لم يشاهدوها إنما نقلوها نقلاً.

أما كيف نقلوها وعن من فهناك غموض كامل حول من الذي نقلها.

---

(١) الكتاب المقدس - العهد الجديد ص ٣٤٨، منشورات دار المشرق بيروت ١٩٨٦.

وأعتقد أن اليهود الذين ادعوا أنهم صلبوا المسيح هم الذين أشاعوا قصة صلب المسيح وهم يدركون أن تدمير العقيدة النصرانية يأتي من هذا الباب. أي صلب المسيح الذي يعني عقيدة الفداء التي أراد الله فيها حسب قول المسيحية أن يفدي البشرية ويكفر عن خطاياها. وقد أكد العلماء والباحثون الذين سبقونا أن قصة صلب المسيح تناقلها الرواة عن أساس يهودي. فيقول ابن القيم في ذلك: (فأخبار المسيح والصليب إنما شيوخكم فيها اليهود وهم فيما بينهم مختلفون في أمره أعظم الاختلاف. وأنتم مختلفون معهم في أمره. فاليهود تزعم أنهم حين أخذوه حبسوه في السجن أربعين يوماً وقالوا: ما كان لكم أن تحبسوه أكثر من ثلاثة أيام ثم تقتلوه إلا أنه كان يعضده أحد قواد الروم لأنه كان يداخله في صناعة الطب عندهم. وفي الأناجيل التي بأيديكم «أنه اخذ صبح يوم الجمعة وصلب في الساعة التاسعة من اليوم بعينه» فمتى تتوافقون مع اليهود في خبره.

ويتابع ابن القيم قوله: (فهذا ما عند اليهود وهم شيوخكم في نقل الصلب وأمره وإلا فمن المعلوم أنه لم يحضره أحد من النصارى وإنما حضره اليهود وقالوا قتلناه وصلبناه وهم الذين قالوا فيه ما حكيناه عنهم فإن صدقتموهم في الصلب فصدقوهم في سائر ما ذكروه وإن كذبتموهم فيما نقلوه عنه فما الموجب لتصديقهم في الصلب وتكذيب أصدق الصادقين الذي قامت البراهين القطعية على صدقه أنهم ما صلبوه وما قتلوه بل صانه الله وحماه وحفظه وكان أكرم على الله وأوجهَ عنده من أن يبتليه بما تقولون أنتم واليهود[1].

وإذا عدنا إلى قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء/ ١٥٦ ـ ١٥٧]. ندرك أن الذي ادعى صلب المسيح هم اليهود،

---

(١) ابن القيم الجوزية. هداية الحيارى، صفحة ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

والنصارى الأوائل لم يروا المسيح يُصلب إنما صدقوا ما قاله اليهود ونشروا خبر صلبه بناء على ما أخذوه عنهم وقد اختلف في معنى قوله ولكن شبه لهم كما أوردنا سابقاً. فقيل المعنى ولكن شبه للذين صلبوه بأن ألقى شبهه على غيره فصلبوا الشبه وقيل المعنى ولكن شبه للنصارى أي حصلت لهم الشبهة في أمره وليس لهم علم بأنه ما قتل وما صلب ولكن لما قال أعداؤه إنهم قتلوه وصلبوه واتفق رفعه من الأرض وقعت الشبهة في أمره وصدقهم النصارى في صلبه لتتم الشناعة عليهم وكيف ما كان فالمسيح عليه السلام لم يقتل ولم يصلب يقيناً لا شك فيه[1].

وتكثر السقطات الإنجيلية التي تدل على عدم صحيتها وعدم إقناع المرء بصلب السيد المسيح.

ففي رواية الأناجيل الأربعة تناقض واضح حول ما قالوه عن صلب المسيح مع لصّين حكم عليهما بالموت.

ففي الباب الثامن عشر من إنجيل متى أنه صلب معه لصان أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وكانا يشتمانه ويتناولانه محركين رأسيهما ويقولان يا من يهدم البيت ويبنيه في ثلاث سلم نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب[2].

جاء في إنجيل متى الإصحاح السابع والعشرين الفقرة ٢٨ (حينئذ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم وفي الفقرة ٤٤ كان اللصان اللذان صلبا معه يعيّرانه).

وجاء في إنجيل مرقص (وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه وآخر عن يساره واللذان صلبا معه كانا يعيّرانه).

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢٢٨.

(٢) ابن حزم الأندلسي. الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

وفي إنجيل لوقا (وكان أحد اللصّين المصلوبين معه يسبه ويقول إن كنت أنت المسيح فسلّم نفسك وسلمنا فأجابه الآخر وكشر عليه وقال: أما تخاف الله وأنت في آخر عمرك وفي هذه العقوبة أما نحن فكوفئنا بما استوجبنا وهذا لا ذنب له ثم قال ليسوع يا سيدي اذكرني إذا نلت ملكك فقال له يسوع آمين أقول لك اليوم تكون معي في الجنة)[1].

وقد جاء نص لوقا في الإصحاح الثالث والعشرين على النحو التالي: (وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا فأجاب الآخر وانتهره قائلاً: أولا تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلناه وأما هذا فلم يفعل شيئاً في محله ثم قال ليسوع اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس) لوقا ٣٩ ـ ٤٣.

فنلاحظ التناقض بين الأناجيل في مسألة الصلب تبرز من خلال موقف اللصين تجاه المسيح فمتى ومرقص أخبرا بأن اللصين كانا يسبّانه. بينما لوقا يخبر بأن أحدهما كان عن يمينه وهو يسبه والآخر كان ينكر على الذي كان يسبه ويؤمن به. والصادق لا يكذب في مثل هذا وليس يمكن أن يدعي أن أحد اللصين سبه في وقت وآمن به في وقت آخر لأن سياق خبر لوقا يمنع من ذلك ويخبر أنه أنكر على صاحبه سبَّه إنكار من لم يساعده قط على ذلك. وكلهم متفق على أن كلام اللصين وهم ثلاثتهم مصلوبون على الخشب فوجب ضرورة أن لوقا كذب أو كذب من أخبره وأن متى كذب وكذب مرقص أو الذي أخبره ولابد[2].

وهناك الكثير من المتناقضات في رواية الأناجيل حول صلب المسيح

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) ابن حزم الأندلسي. الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

ومصيره وأسباب صلبه. فكما تبين لنا التناقض في الرواية حول اللصين اللذين صُلبا معه فإن الأناجيل تتناقض في أسباب صلبه.

فإنجيل متى وكذلك مرقص يوردان أن سبب صلب المسيح قول اليهود بأنه ادعى أنه ملكهم فسأله الوالي أأنت ملك اليهود إشارة إلى الادعاء الذي قُدم للوالي.

بينما إنجيل لوقا يورد أسباباً أخرى منها ادعاؤهم بأن المسيح يفسد الأمة ويمنع أن تُعطى الجزية لقيصر.

أما يوحنا فيرى غير ذلك فيورد ما نصه: (لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك فقال بيلاطس خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم).

ومن تلك المتناقضات أيضاً أن مرقص قد حدد الساعة الثالثة موعداً لصلب المسيح بينما لم يحدد أحد من أصحاب الأناجيل الثلاثة الأخرى موعد الصلب ولا ساعته.

وهناك أيضاً تناقض حول من حضر صلب المسيح فيوحنا يقول وكانت عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة (كلوبا) ومريم المجدلية. فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً قال لأمه يا امرأة هو ذا ابنك ثم قال للتلميذ هو ذا أمك وفي تلك الساعة أخذه التلميذ إلى خاصته. فقد انفرد يوحنا بهذه العبارة. بينما ذكر متى كما أسلفنا سابقاً أن التلاميذ قد هربوا وكان منهم يوحنا وكان يلبس رداء على عريه فأمسكه أحد الجنود فترك له الرداء وهرب عارياً. فكيف جاء بعد ذلك ليشاهد المسيح وهو يصلب؟.

أما لوقا فلم يشر إلى أن أحداً من معارف المسيح حضر صلبه بل قال: وكان جميع معارفه ونساءٌ كنّ قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك.

وطالما أن كل هذه المتناقضات تشير إلى أن مسألة الصلب وما يرتبط بها

ليست واضحة وفيها من الغموض ما يكفي لنقضها ورفضها. فإننا نطمئن أكثر وأكثر إلى ما جاء في إنجيل برنابا فروايته أقرب إلى المنطق العقيدي وإلى معجزات الله التي رافقت السيد المسيح منذ ولادته وحتى رفعه إلى السماء.

أما الأهم من ذلك كله فإن النص القرآني يقطع بالمسألة بشكل لا يدع مجالاً للقول بغير ما قاله الله سبحانه. وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم. وهذا في غاية الإكرام لشخصية النبي عيسى عليه السلام. والله سبحانه حماه من اليهود وهو يدعو إلى ديانة التوحيد وحماه من مكرهم ومحاولتهم القبض عليه وأذيّته وصلبه.

الصلب وألوهية المسيح

يتساءل المرء كيف يمكن أن يكون المسيح إلهاً ويصلب؟

لا شك أن المصادر المسيحية وكذلك المذاهب المسيحية ما عدا البروتستانت ترى في صلب المسيح مسألة من مسائل العقيدة المسيحية الأساسية.

وحينما نراجع المصادر الأولى للمسيحية نرى أن بولس الرسول أتى بأمور لم يأت بها غيره. فقد بث مسألة الإيمان على أنها ترتكز على صلب المسيح رباً وإلهاً فقال مثلاً (وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصلب ربنا يسوع المسيح) غلاطية ٦ : ١٤. ويعتبر الرسول بولس أن الصليب جوهر المسيحية فيركز عليه قائلاً (لأنني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً) اكو ٢ : ٢ أي أن هذا الصليب هو الأمر الوحيد الذي أريد أن أعرفه[1].

على أية حال فإن المسيحية التي تعتقد بألوهية المسيح غالت كثيراً في دينها حتى أنها أصرت أن الإله المسيح قد صلب. ولو أنها قالت مثلاً بنبوة المسيح وادعت أنه صلب لكان بالإمكان مناقشة الأمر على اعتبار أن النبي المسيح بشر وقد يتعرض لما يتعرض له البشر خاصة أننا نعرف تاريخ اليهود وقتلهم للأنبياء بغير حق ولكن أن تقول إن المسيح هو الله ثم تؤمن أنه صلب فهذا يتناقض حتى مع إيمان المسيحية بقدرة المسيح غير المحدودة على اعتبار

---

(١) شنوده الثالث: اللاهوت المقارن الجزء الأول ص ١٥٠.

أنه الله المطلق القوي الجبار. فالمسيحية لم تكن لتهتم بكيفية الصلب أو من المسؤول عن ذلك بقدر اهتمامها لماذا تم الصلب ولأي هدف مقدس.

إن العهد الجديد يدقق في ذلك المعنى وإن الصلب أساساً لتحقيق هدف جاء من أجله المسيح يسوع إلى الدنيا وتحقيقاً لرغبة إلهية ورحمة من الرب نحو شبعه. لذلك ركزت إصحاحات العهد الجديد في الأناجيل الأربعة على فكرة أن يسوع كان يعرف مهمته في الحياة وأنه مكتوب عليه التضحية ليخلص الناس[1].

والواقع أن فكرة الصلب لم تكن مفهومة في وقتها حتى بين تلاميذ المسيح فقد كان اليهود يعتقدون بقدوم بطل أسطوري قوي يعيد الملك وليس رجلاً يصلب ليفدي البشرية كلها ثم تبلورت فكرة المخلص الذي يضحي بنفسه ليفدي البشرية كلها ويمحو خطيئتها[2].

ويرى الفكر المسيحي أن آلام وموت المسيح كانت منجزات وانتصارات لا كوارث وفواجع لقد حدد هو بنفسه وليس أعداؤه تاريخ وساعة الصلب. ومع أن العملية عملية الصلب بدت غريبة ومذهلة لتلاميذه إلا أنها لم تكن سوى تكملة لمهمة جاء بها لفتح باب جديد وثابت لملكوت من العزة والحياة. فعملية الصلب مع كونها أبشع شر في تاريخ البشرية أشار إليها سفر الأعمال على أنها من ترتيب إلهي مسبق[3].

وهكذا يرى الفكر المسيحي في صلب الإله المسيح كما يقولون عملية

---

(١) د. عبد الرحمن نور الدين. رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام ص ٩٠ ـ ٩١.

(٢) المرجع السابق ص٩١.

(٣) هل تجسد المسيح. القس منيس عبد النور ١٠٠ ـ ١٠١. مكتبة دار نداء الرجاء حمص ـ سوريا.

فداء للبشرية وخلاص ولكن إذا كان المسيح إلهاً فهل صلبه برهانٌ على ألوهيته؟ ثم إذا كان المسيح إلهاً فهل تقبل عملية الصلب دون أي تذمر؟ لأنه يعرف أنه إله ومجرد صلبه هو صلب للمادة والجسد وليس للنور الإلهي.

الواقع أنه ما قاله المسيح وهو على خشبة الصليب كما تقول الأناجيل يدل على نفيه كونه إلهاً فهذا الذي قاله لا يصدر عن إنسان يتألم ويبكي بل هو في غاية الألم والعذاب لقد قال المسيح وهو على خشبة الصليب حسب الأناجيل (إلهي إلهي لماذا تركتني) أي بمعنى لماذا تخليت عني وتركتني أُصلب بأيدي أعدائي. فهل هذا الكلام يصدر إلا عن إنسان يتألم ويكره أن يصلب أو يموت على هذه الحال؟

وقد اختلف أصحاب الأناجيل في الكلمات الأخيرة للمسيح فقال متى ص ٢٧ (٤٦) ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلي إيلي لما شبقتاني. بينما لوقا قال إن المسيح قال يا أبتاه في يديك أستودع روحي بينما في يوحنا لم يرد ذلك مطلقاً.

والمهم في ذلك كله أن اعتراف المسيح حسب قول الأناجيل بأن الله تخلى عنه دليل من الأناجيل نفسها أن المسيح ليس إلهاً وليس له صفات الإله القادر بغير حدود.

والواقع أن كثيراً من الفرق المسيحية ترفض قول الأناجيل أن المسيح صلب وقد ذكر عبد الوهاب النجاز في كتابه قصص الأنبياء عدداً من هذه الفرق وعدداً من اللاهوتيين والمفكرين المسيحيين الذين يرفضون فكرة صلب المسيح. ومن هذه الطوائف الدوستية، والمرسيونية، والقلنطينائية، وأورد شهادات لعلماء النصرانية تفيد في ذلك.

منها ما قاله المسيو أرادو ارسيوس وما قاله الألماني أرنست دي لونس

وغيرهما ويستندون في ذلك على رأيهم القائل إن كان المسيح إلهاً فكيف نصدق أنه يصلب ويقتل؟

والواقع أن التراث الوثني القديم يتميز بأساطير كثيرة تقول بصلب أحد الآلهة الوثنية ويربطون ذلك بمفهوم الفداء والتضحية. وأعتقد أن اليهود الذين ادعوا أنهم قتلوا المسيح وصلبوه كانوا على صلة ثقافية بالعقائد الوثنية لدى الشعوب القديمة وارتأوا أن أكبر وأبشع إهانة يلحقونها بالنبي عيسى عليه السلام هي ادعاؤهم بأنهم صلبوه وقتلوه.

يقول العلامة داون في كتابه خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخيرة: إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم. وكتاب الركفيدا الهندي يمثل الآلهة يقدمون (بروشا) وهو الذكر الأول قرباناً ويعدونه مساوياً للخالق وجاء في أحد نصوص هذا الكتاب أن سيد المخلوقات برجاباتي قدم نفسه ذبيحة للآلهة.

وإذا عرفنا أن الرمانيين واليونان كانوا يقدمون أنفسهم ذبيحة للآلهة استرضاء لها أدركنا أن كتبة الأناجيل قد تأثروا أيضاً بتراث اليونان والرومان وهم معاصرون لهم وقالوا بصلب المسيح.

ويقول العلامة هوك في كتابه رحلة هوك المجلد الأول صفحة ٣٢٦: ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسّد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة.

وهناك صورة عند الهنود تصور الإله كرشنا مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين ومعلق بقميصه صورة قلب الإنسان.

وفي نيبال يصور أهاليها الإله إندرا مصلوباً وثقب بالمسامير كي يخلص

البشر من ذنوبهم وفي جنوب الهند إله اسمه بالي يعبده الهنود يصورونه مصلوباً وكذلك فإن فشنو تجسد وصوّروه مثقوب الجنب واليدين.

وأصحاب الديانة البوذية يدعون بوذا الطبيب العظيم ومخلص العالم والممسوح والمسيح المولود الوحيد وغير ذلك وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر آثام البشر ويجعلهم ورثاء ملكوت السموات وبولادته ترك كافة مجده في العالم ليخلص الناس من الشقاء والعذاب كما نذر. وقد عبد أهل المكسيك إلهاً مصلوباً دعوه المخلص والفادي ويدعون ابن الله في لغتهم باكوب أو بوكو[1].

ويرى بعض اليهود وبعض من عاينوا كلمة المسيح الأخيرة إلهي لماذا تركتني - أن الله خذل ابنه. لكن المسيحية تقول إن ذلك كان يعرفه المسيح مسبقاً فهو كالقدر الذي لا مناص من وقوعه.

ويعلق الأستاذ عمر النجار على ذلك بقوله: أما أن التلاميذ أنكروه وشكوا فيه وهربوا دونه فتلك تعود إلى جبرية البشائر التي ورد ذكرها في مرقص. فهل تريدون أن ننزع عنه النبوة بإنكارنا لها. أليست البشائر على لسان المسيح نفسه تقول بنجاة التلاميذ. ثم أليس المسيح قد ردّ أذن العسكري المقطوعة إلى مكانها وشفاه وأخر صاحب السيف أن يرده إلى غمده وعليه فلا تخاذل. المسيح يدرك كل ذلك جيداً بل وأشار إلى من خذله. أليس هو القائل على الصليب إيلي إيلي لمَ شبقتاني فالتلاميذ لم يخذلوه وتعالى الله عما يصفون - بل الله خذله.

فالمسيح عندهم هو الابن الوحيد للآب، وليس معقولاً أن يعجز الله عن نجدته. لقد خذله من أجلنا إنه الذي لم يشفق على ابنه كما ورد في رومية ٨: ٣٢ صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وصولحنا مع الله بموت ابنه. ولكي يفدينا من كل إثم.

---

(١) محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٥٧ - ٥٨ - ٥٩.

والحقيقة أن عقيدة الخطيئة لم تبرز عند الكتاب إلا للملاءمة بين انتصار المسيح بقتلهم إياه وبين الله القادر على كل شيء أو بتعبير آخر لامتصاص الحجة التي تقول: إذا كان المسيح ابن الله على الحقيقة فواجب الأبوة يقتضي أن ينصر ابنه. وإذا كان الله هو القادر على كل شيء على الحقيقة فيجب أن يكون النصر له لا لأعداء ولده الظالمين، خاصة أن ابنه لم يعرف خطية قط.

ويتساءل النجار قائلاً: ولكن من هو المصلوب حقيقة؟ لقد كانت العادة تقتضي على المحكوم عليه بالإعدام أن يحمل صليبه بنفسه وهذا ما قال به يوحنا وحده (فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة) يوحنا ١٩ : ١٧ أما متى والآخرون فيقول: (وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه) متى ٢٧ : ٣٢ لوقا ٢٣/ ٢٦ مرقص ١٥ : ٢١ والمسيح يمشي أمامه ولنفترض أنه لم يهرب نعم. (فقد أتوا به إلى بيلاطس الذي كان مسؤولاً عن تنفيذ حكم الإعدام لينظر في أمره فلم يجد لديه ما يستحق الموت) يوحنا ١٨ : ٣٨ ولم يجد فيه شراً. وأتهم كهنة اليهود بصياغة هذه المكيدة حسداً وضغينة وأخيراً غسل يديه أمام الجميع معلناً براءته من دم المسيح إن قتلوه.

أما زوجة بيلاطس فقد استوصت بالمسيح خيراً ونعتته بالبار وتوعدت زوجها شراً إن حصل له مكروه ومتى يقول: (أرسلت امرأته قائلة إياك وذلك البار لأني تألمت اليوم كثيراً في حلم من أجله) متى ٢٧ : ١٩ إنها مؤمنة به أو بنبوته بلا شك أو متعاطفة معه بدرجة عظيمة وإلا لما انسل اهتمامها إلى الأحلام وهل يريد بيلاطس أن يخسر امرأته بعد أن انحدرت القضية إلى منزله لتكون مشكلة مع أهل بيته؟ ولكن هل تتيح الظروف له إنقاذ البار الذي لم يجد له جريمة تستحق الموت؟

وسُمّر المسيح على الصليب وتساءل ول ديورانت قائلاً: ترى هل مات حقاً؟ لقد كان اللصان اللذان إلى جانبه لا يزالان على قيد الحياة وقد كسر الجنود ساقيهما حتى تتحمل أيديهما ثقل جسميهما فيؤثر ذلك في حركة الدم ويقف القلب بعد قليل غير أن هذا لم يحدث في حالة عيسى (فلما جاؤوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات) يوحنا ١٩ : ٣٣. ومات غير المكسور قبل المكسور وإنها لعجيبة أم أنه تظاهر بالموت والأرجح أن يكون الأمر كذلك لأنه لا خروج للدم من الميت إذا ما جرح أو خدش أما يوحنا فيقول: إن جندياً طعن المسيح بعد موته فخرجت منه الدماء والماء لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربه وللوقت خرج دم وماء ولو نظرنا ملياً إلى قصة الماء لرأيناها تقول إن المسيح زوّد وراء ظهره أو عند جنبه وهو على الصليب بأكياس ملئت بالدماء أو قل بماء صبغ باللون الأحمر وهو الأرجح. وإذا ما كان الأمر حدث على عجل خاصة في مثل هذه الأمور فربما أن أحدها لم يكن مصبوغاً حتى خرج الماء بلونه الطبيعي وهو ما رآه يوحنا[1].

فالنجار يرى ذلك ليصل بالنتيجة إلى أن المسيح لم يصلب وأن الذين كتبوا أنه صلب في أناجيلهم لفقوا ذلك وصنعوه من خيالهم لأنهم لم يشاهدوا المسيح يُصلب وتناقضت أقوالهم تناقضاً صارخاً بل خالفت تلك الأقوال المنطق والواقع فوقعوا في مطبات لا خروج منها.

وإذاً وبعد كل ما رأيناه من آرائهم حول قصة صلب المسيح المخترعة سنرى موقف القرآن الكريم الذي يوضح ما الذي جرى للمسيح عندما حاول اليهود الاعتداء عليه أو القبض عليه ثم الإقدام على صلبه.

يقول تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

---

(١) عمر لطفي النجار. العقل والإلحاد، صفحة ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران/ ٥٤ ـ ٥٥].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء/ ١٥٥ ـ ١٥٩].

ففي هذه الآيات يخبر الله تعالى أنه رفعه إلى السماء بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان.

قال الحسن البصري ومحمد ابن اسحق كان اسمه (داود بن نورا) أي الملك فأمر بقتله وصلبه فحصروه في دار ببيت المقدس وذلك عشية الجمعة ليلة السبت فلما حان وقت دخولهم ألقى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روزنة ذلك البيت إلى السماء وأهل البيت ينظرون ودخل الشَرَطُ فوجدوا ذلك الشاب الذي ألقي عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له وسُلم لليهود عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب وضلوا بسبب ذلك ضلالاً مبيناً كثيراً فاحشاً بعيداً وأخبر تعالى بقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ﴾ [النساء/ ١٥٩]. أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان.

وقيل عن ابن أبي حاتم وسلسلة من الرواة عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً معهم من الحواريين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي... وبعد أن صلب شبهه رفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء فكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق فقالت طائفة كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعاقبة وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء هم النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ قال ابن العباس وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف/ ١٤] وهذا إسناد صحيح[1] إلى ابن عباس على شرط مسلم ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية. وهناك أحاديث كثيرة أوردها ابن كثير تشير جميعها إلى أن الله رفع المسيح إليه وأن الذي صلب رجل آخر.

ولعل أقرب رواية لما ورد من أحاديث هي رواية برنابا التي ذكرناها في صفحات سابقة وإن كان ينكرها المسيحيون الذين اعتمدوا الأناجيل الأربعة.

وإذا عدنا إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾.

فإنه يشير إلى النصارى الذين اختلفوا في المسيح وقصة صلبه. ولأنهم لم يشاهدوا الحدث ظلوا في شك منه والواقع أن ليس لهم به علم إلا اتباع الظن.

---

(١) ابن كثير. البداية والنهاية، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٧٢ ـ ٧٣.

ولذلك اختلفوا بشأن صلبه ونهايته لأنهم يفتقدون الدليل على ذلك. وقد صدقوا مقالة اليهود التي ادعوا بها أنهم قتلوا المسيح وصلبوه. ومعروف أن اليهود يلفقون ويكذبون وهذا هو أسلوبهم طوال وجودهم على الأرض. بل إن الكذب صفة ملازمة للشخصية اليهودية منذ أن وجدت وحتى يومنا هذا.

ما الذي حدث بعد رفع المسيح

حينما نتتبع الأناجيل نرى أن عملية الصلب التي ظنوا من خلالها أن المسيح صلب رافقها أمور هي أقرب إلى الأساطير من الحقيقة. فحتى تكون لطبيعة الصلب قيمة وتكون مؤثرة في أتباع المسيحية ابتدع أصحاب الأناجيل كلٌ على هواه حوادث خارقة يحاولون بها إقناع الناس بأن المسيح فعلاً صلب.

فإنجيل متى يرى أن يسوع قد مات وخيم الظلام على الأرض كلها من الظهر إلى الساعة الثالثة ونحو الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة قال إيلي إيلي لما شبقتاني أي إلهي إلهي لماذا تركتني.

ويقول متى: وإذا ستار المقدس قد انشق شطرين من الأعلى إلى الأسفل وزلزلت الأرض وتصدعت الصخور وتفتحت القبور فقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بقد قيامته فدخلوا المدينة المقدسة وتراءوا لأناس كثيرين. ويقول إنجيل مرقص: ولما كان الظهر خيم الظلام على الأرض كلها حتى الساعة الثالثة وفي الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة قال ألوي ألوي لما شبقتاني. أي إلهي إلهي لماذا تركتني. ويضيف مرقص: فانشق ستار المقدس شطرين من الأعلى إلى الأسفل فلما رأى قائد المائة الواقف تجاهه أنه لفظ الروح هكذا قال: كان هذا الرجل ابن الله حقاً.

أما لوقا فيقول: وكانت الساعة نحو الظهر فخيم الظلام على الأرض كلها حتى الثالثة لأن الشمس احتجبت وانشق ستار المقدس من الوسط فصاح يسوع بأعلى صوته قال يا أبت في يديك أجعل روحي. قال هذا ولفظ الروح.

أما يوحنا فيقول: ورأى يسوع بعد ذلك أن كل شيء قد تم ولكن ليتم الكتاب قال أنا عطشان... ثم حنى رأسه وأسلم الروح.

فنلاحظ اختلاف الروايات حول الذي جرى. فمتّى يحيط الصلب بهالة خارقة. فالأرض تزلزلت والصخور تصدعت والقبور تفتحت وقام قديسون من القبور وخيم الظلام على الأرض كلها.

فإذا كانت الأرض قد تزلزلت فما الذي حدث للسكان والملك واليهود وماذا حدث للبيوت والطرقات والمارين والراقدين والعاملين. وإذا كانت قد تصدعت الصخور فما الذي حدث للناس الذين يسكنون إلى جانب هذه الصخور؟ ثم قام قديسون من القبور فماذا كان موقف الناس وهم يرون القبور قد تفتحت. ألم يفزعوا ألم يهربوا؟ وعندما يقول متى ومرقص ولوقا إن ستار المقدس انشق شطرين من الأعلى إلى الأسفل. فمن الذي رأى هذا الستار ينشق هل كان هناك من رآه ينشق ويخبر أصحاب الأناجيل بذلك؟

لكن يوحنا كان أذكى وأبرع فلم يبرز أي معجزة خارقة سوى أنه ـ وليربط الأمور ببعضها ـ جعل المسيح يقول أنا عطشان ثم قال وعرف أن كل شيء قد تم حنى رأسه وأسلم الروح.

وبعد ذلك يقول إنجيل يوحنا (وبعد ذلك جاء يوسف الرامي وكان تلميذاً ليسوع يخفي أمره خوفاً من اليهود فسأل بيلاطس أن يأخذ جثمان يسوع فأذن بيلاطس فجاء فأخذ جثمانه). الفصل ١٩ : ٣٨.

أما لوقا فيقول: (وجاء رجل اسمه يوسف وهو عضو في المجلس وامرؤ صالح بار لم يوافقهم على قصدهم ولا عملهم وكان من الرامة وهي مدينة لليهود وكان ينتظر ملكوت الله فقصد إلى بيلاطس وطلب جثمان يسوع ثم أنزله عن الصليب ولفه في كتان ووضعه في قبر حفر في الصخر لم يكن قد وضع فيه أحد)

٢٣ : ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣ .

ويقول مرقص : (وكان المساء قد أقبل ولما كان ذلك اليوم يوم التهيئة اي الذي قبل السبت جاء يوسف الرامي وهو عضو وجيه في المجلس وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله فحملته الجرأة على أن يدخل إلى بيلاطس ويطلب جثمان يسوع فتعجب بيلاطس أن يكون قد مات . . فاشترى يوسف كتاناً ثم أنزل يسوع عن الصليب فلفه في الكتان ووضعه في قبر حفر في الصخر ثم دحرج حجراً على باب القبر) ١٥ : ٤٢ ـ ٤٦ .

ويقول متى : (وجاء عند المساء رجل غني من الرامة اسمه يوسف وكان هو أيضاً قد تتلمذ ليسوع فذهب إلى بيلاطس وطلب جثمان يسوع فأمر بيلاطس بأن يسلم إليه فأخذ يوسف الجثمان ولفه في كتان خالص ووضعه في قبر له جديد كان قد حفره في الصخر ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر وانصرف) . ٢٧ : ٥٧ ـ ٦١ .

فإذا تمعنا في شخصية المدعو يوسف سنجد أنفسنا أمام شخص يبرز فجأة لم تكن الأناجيل قد ذكرته سابقاً . وهو من الرامة . وتلميذ ليسوع يخفي أمره . وهو عضو في المجلس اليهودي الأعلى ووجيه فيه وهو غني إلى آخر ما هنالك من أوصاف .

فأما أنه عضو في المجلس الأعلى لليهود ووجيه فيه . فإن ذلك أمر في غاية العجب خاصة أن وجهاء اليهود هم من أشد الناس عداوة للمسيح فما الذي جرى حتى صار يوسف محباً ليسوع وحتى تتلمذ على يديه . هل خفية وهو وجيه في مجلس اليهود الأعلى؟ ولعل هناك احتمالاً قوياً وهو أن مجلس اليهود لما أدرك أن المسيح عليه السلام قد رفعه الله إليه بعثوا مندوباً عنهم لبيلاطس كي يتسلم جثة يهودا الذي صلب دون أن يدرك بيلاطس ذلك . فجاء يوسف الرامي وأخذ جثة يهوذا ليكمل المجلس مؤامرة كبرى يخدع بها المسيحيين حيث يوضع

في القبر ثم يخطف بعد ليلتين ليقال إن المسيح قام من بين الأموات ورحل إلى السماء بقوة أبيه.

وإلا كيف وافق بيلاطس بهذه السرعة على منح يوسف تصريحاً فورياً بإنزال المصلوب عن صليبه وأخذه ودفنه؟

وقد كفن يوسفُ المصلوبَ بكتان ودفنه ولم ير أحد ذلك المصلوب وهو يكفن حتى لا تنكشف الخديعة خاصة أنه لا حاجة بعد لكي يبقى يهوذا على صورة المسيح لأن المسيح كان الله قد رفعه إلى السماء دون أن يصلب أو يقتل.

ويقوي هذا الاحتمال أن أصحاب الأناجيل لم يذكروا يوسف كتلميذ للمسيح إلا في هذا الموقع فما الذي قال لهم إنه كان تلميذ للمسيح خفية ومن أخبرهم بذلك؟ الواقع أنهم لا يعرفوه إنما نقلوا هذه الرواية عن اليهود الذين حاكوا مخططاً كبيراً لتخريب العقيدة المسيحية تخريباً كاملاً.

والمذكور يوسف أي الذي أنزل المسيح عن الصليب حسب زعم الأناجيل لم يعد يُذكر مطلقاً بعد هذه الحادثة. فكما ظهر فجأة اختفى فجأة. وهذا دليل على أن القصة ملفقة من قبل اليهود لكنهم لم يعرفوا أن يحبكوها بشكل جيد فافتضحت القصة وافتضح هذا الذي يُدعى يوسف الرامي.

أما بالنسبة لدفنه في القبر فإن لوقا يقول: (أخذ يوسف الجسد ولفّه بكتان نقي ووضعه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصخر ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر ومضى).

أما يوحنا فيقول: (إن القبر الذي وضعت فيه الجثة لم يكن جديداً بل مستعملاً. إنه لليهود المنشغلين في الاستعداد للعيد ولما كان قريباً وجاهزاً وضعوا فيه المسيح دون متاعب أو معارضة من أحد. وبعد دفنه نزل ملاك الرب بزلزلة ودحرج الحجر عن القبر). أما مريم المجدلية التي رأت ذلك فتقول:

«أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه». وشعر كهنة اليهود بمرور المؤامرة ولكن لا دليل يدحض انتساب الأمر إلى ملاك الرب. فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام. ولكن جنود قائد المائة أنكروا وجود يد انتشلت الجثة من القبر أو ربما أن مؤامرة انتشاله كانت محكمة ودقيقة لدرجة تثير الإعجاب.

(إن خروج المسيح من القبر كان على عجل وبسرعة فالأكفان موضوعة والمنديل كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان بل ملفوفاً في موضع وحده). يوحنا ١٢ : ٦ ـ ٧، لوقا ٢٤ : ١٢. فقد تبعثرت أشياؤه هنا وهناك وهذا طبيعي ثم تنكر بزي من الأزياء حتى أن مريم المجدلية لم تعرفه عندما نظرت إليه. فقد التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع. بل إن اثنين من أصحابه لم يعرفاه وهو يمشي بينهما إلا باتضاح معالمه عندما كسر الخبز وأطعمهما. والتلاميذ شكوا في حقيقة وجوده حتى أكد لهم وجوده الجسمي وميزه عن الوجود الروحي.

ولكن لو كان الأمر روحياً فما حاجته إلى دحرجة الحجر وفتح القبر أو إلى قذف المنديل والأكفان، وما حاجة الروح للجثة التي لم تعد موجودة في القبر؟

لقد قال الكتبة إن المسيح حدد بالبشائر والتنبؤ أن قيامته من باطن الأرض ستكون بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال وهل استقام له ذلك. إن متى ومعه لوقا ومرقص يحددون موت ودفن المسيح بما قبل السبت بيوم وهذا بالتأكيد يجعل من المكوث بالأرض ثلاثة أيام ولكن هذه الفترة الزمنية لا يمكن أن تحتوي إلا على ليلتين وليس ثلاث ليال. وعلى كلٍ يمكن تدبر الأمر لضمان تنفس المسيح على الأقل كل هذه المدة أياً كانت منهما بما أن المؤامرة ذات أقطاب أقوياء وهو المهم.[1]

---

(١) عمر لطفي النجار، العقل والإلحاد، صفحة ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

القيامة المسيحية في العقيدة النصرانية

بقدر ما أخذت مسألة صلب المسيح في العقيدة النصرانية من أهمية فقد أخذت قيامته الأهمية الأكبر في هذه العقيدة. حيث تأسست عليها قضايا عقيدية غاية في الحساسية وغاية في الخطورة. والسبب في ذلك ربط هذه القيامة بألوهية المسيح وما يترتب على ذلك من رؤى عقيدية وفلسفية مسيحية.

وقد أجمعت الأناجيل الأربعة على موت المسيح وقيامته. فهي تخبر كلها عما وقع في اليوم الثالث لموت المسيح من حدث عجيب ترويه الروايات على شكل خاص: فهي تدور ثم تنقطع فجأة، ثم يلقى بعضها بعضاً حاملة من المضادات والمناقضات ما يتعذر معه إيجاد حل لبعضها[1] ويمكن لنا أن نسوق الرواية كما روتها تلك الأناجيل لنتبين ماذا يدور حول قيامة المسيح.

(لما انقضى السبت وبزغ فجر اليوم الأول بعد السبت جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى تتفقدان القبر وإذا بزلزال شديد حدث وبملاك الرب نزل من السماء وجاء إلى الحجر فدحرجه وجلس عليه. وكان منظره كالبرق وثوبه أبيض كالثلج. فلما رآه الحرس ارتعدوا خوفاً منه وصاروا كالأموات). متى ٢٨: ١ ـ ٤.

(ولما انقضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة طيباً ليأتين فيطيّبنه وفي غداة يوم الأحد جئن إلى القبر وقد طلعت الشمس وكان

---

(١) رومانو كواردينى: قيامة المسيح، ص٧، دار المشرق ـ بيروت، نقله إلى العربية الأب جرجس المارديني ١٩٨٨.

يقول بعضهن لبعض من تراه يدحرج لنا الحجر من باب القبر؟ فنظرن فرأين أن الحجر قد دُحرج وكان كبيراً جداً). مرقص ١٦ : ١ ـ ٤. فدخلن فلم يجدن الرب يسوع: لوقا ٢٤ : ٣ فحثت مريم المجدلية السير إلى سمعان بطرس والتلميذ الآخر الذي أحبه يسوع وقالت لهما أخذوا الرب من القبر ولا نعلم أين وضعوه فخرج بطرس والتلميذ الآخر إلى القبر يسرعان السير معاً). يوحنا ٢ : ٢ ـ ٤.

(وحدث فيما كانت النساء الأخريات واقفات عند القبر أن تراءى لهن رجلان عليهما ثياب براقة فاستولى عليهن الخوف ونكسن وجوههن نحو الأرض فقالا لهن لماذا تبحثن عن الحي بين الأموات؟ إنه ليس هاهنا بل قام اذكرن ما أنبأكن إذ كان في الجليل فقال يجب على ابن الإنسان أن يسلّم إلى أيدي الخاطئين ويصلب ثم يقوم في اليوم الثالث. لوقا ٢٤ : ٤ ـ ٧. فاذهبن وقلن لتلاميذه وبطرس إنه يتقدمكم إلى الجليل فترونه هناك كما أنبأكم). مرقص ١٦ : ٧.

(فذكرن كلامه ورجعن إلى القبر فأخبرن الأحد عشر والآخرين جميعاً بهذه الأحداث كلها. لوقا ٢٤ : ٨ ـ ٩. ولكن التلميذ الآخر سبق بطرس فوصل قبله إلى القبر فانحنى ولم يدخل فأبصر الأكفان على الأرض وكان سمعان بطرس يقتفي أثره فوصل بعده فدخل القبر فأبصر الأكفان على الأرض والمنديل الذي كان على رأسه ملفوفاً في مكان على حدّه لا ملقى على الأكفان ودخل التلميذ الآخر الذي وصل قبله إلى القبر فرأى وآمن لأنهما لم يكونا قد فهما بعد الآية التي تقول إنه يجب أن يقوم من بين الأموات ثم رجع التلميذان إلى حيث يقيمان. أما مريم فكانت قائمة على القبر تبكي فانحنت نحو القبر وهي تبكي فرأت ملاكين في ثياب بيض جالسين حيث كان جثمان يسوع أحدهما عند الرأس والآخر عند الرجلين فقالا لها وما يبكيك أيتها المرأة فأجابتهما أخذوا ربي ولا أدري أين وضعوه قالت هذا ثم التفتت وراءها فرأت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه هو نفسه فقال لها يسوع ما يبكيك أيتها المرأة وعمّن تبحثين فظنت أنه البستاني

فقالت له سيدي إذا كنت أنت قد أخذته فقل لي أين وضعته لآخذه؟ فقال لها يسوع (مريم) فعرفته وقالت له بالعبرية (ربّونى) أي يا معلم فقال لها يسوع لا تمسكيني إني لم أصعد بعدُ إلى أبي بل اذهبي إلى الأخوة فقولي لهم إني صاعد إلى أبي وأبيكم إلهي وإلهكم) يوحنا ٢٠ : ٤ ـ ١٧ .

أما إنجيل برنابا فينفرد برواية مختلفة حيث يقول :

(وهكذا ذهبوا في صحبة أم يسوع إلى جبل الجمجمة ولم يقتصروا على حضور موت يهوذا باكين على الدوام بل حصلوا بواسطة نيقو ديموس ويوسف الابار بمائيائي من الوالي على جسد يهوذا ليدفنوه فأنزلوه من ثم عن الصليب ببكاء لا يصدقه أحد ودفنوه في القبر الجديد ليوسف بعد أن ضمخوه بمئة رطل من الطيوب) . برنابا ٢١٧ .

ثم يقول : (أما التلاميذ الذين لم يخافوا الله فذهبوا ليلاً وسرقوا جسد يهوذا وخبأوه وأشاعوا أن يسوع قام فحدث بسبب هذا اضطراب فأمر رئيس الكهنة أن لا يتكلم أحد عن يسوع الناصري إلا كان تحت عقوبة الحرم . فحصل اضطهاد عظيم فرُجم وضُرب ونُفي من البلاد كثيرون لأنهم لم يلازموا الصمت في هذا الأمر . وبلغ الخبر الناصرة كيف أن يسوع أحد أهالي مدينتهم قام بعد أن مات على الصليب . فضرع الذي يكتب إلى أم يسوع أن ترضى فتكف عن البكاء لأن ابنها قام فلما سمعت العذراء مريم هذا قالت باكية لنذهب إلى أورشليم لننشد ابني فإني إذا رأيته مت قريرة العين . فعادت العذراء إلى أورشليم مع الذي يكتب ويعقوب ويوحنا في اليوم الذي صدر فيه أمر رئيس الكهنة) .

ويتابع برنابا قوله : (وصعد الملائكة الذين كانوا حراساً على مريم إلى السماء الثالثة حيث كان يسوع في صحبة الملائكة وقصوا عليه كل شيء . لذلك ضرع يسوع إلى الله أن يأذن له بأن يرى أمه وتلاميذه فأمر حينئذ الرحمن ملائكته

الأربعة المقربين الذين هم جبريل وميخائيل ورافائيل وأوريل أن يحملوا يسوع إلى بيت أمه وأن يحرسوه هناك مدة ثلاثة أيام متوالية وأن لا يسمحوا لأحد أن يراه خلا الذين آمنوا بتعاليمه.

فجاء يسوع محفوفاً بالسناء إلى الغرفة التي أقامت فيها مريم العذراء مع أختيها ومرثا ومريم المجدلية ولعازر والذي يكتب ويوحنا ويعقوب وبطرس فخروا من الهلع كأنهم أموات فأنهض يسوع أمه والآخرين عن الأرض قائلاً لا تخافوا لأني أنا يسوع ولا تبكو فإني حي لا ميت فلبث كل منهم زمناً طويلاً كالمخبول لحضور يسوع لأنهم اعتقدوا اعتقاداً تاماً بأن يسوع مات فقالت حينئذ العذراء باكية قل لي يا بني لماذا سمح الله بموتك ملحقاً العار بأقربائك أخلائك وملحقاً العار بتعليمك وقد أعطاك قوة على إحياء الموتى فإن كل من يحبك كان كميت.

أجاب يسوع معانقاً أمه: صدقيني يا أماه لأني أقول لك بالحق إني لم أمت قط لأن الله قد حفظني إلى قرب انقضاء العالم).

ويستمر حديث المسيح مع أمه وتلاميذه طويلاً ولكننا نقتطع أهم كلامه الذي يمس العقيدة المسيحية كما يراها برنابا.

يقول: (فلما كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئاً في العالم أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله).

ويقول: (الحق أقول لكم إني لم أمت بل يهوذا الخائن. احذروا لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم ولكن كونوا شهودي في كل إسرائيل وفي العالم كله لكل الأشياء التي رأيتموها وسمعتموها).

وأخيراً، يقول: (وبعد أن انطلق يسوع تفرقت التلاميذ في أنحاء إسرائيل والعالم المختلفة أما الحق المكروه من الشيطان فقد اضطهده الباطل كما هي الحال دائماً فإن فريقاً من الأشرار المدّعين أنهم تلاميذ بشروا بأن يسوع مات ولم يقم وآخرون بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله. وأما نحن فإنما نبشر بما كتبتُ. الذين يخافون الله ليخلصوا في اليوم الأخير لدينونة الله آمين). برنابا ٢٢٢.

وعلى ضوء ما أوردناه من النصوص الموجودة في الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى الكنيسة وكذلك إنجيل برنابا نتوقف ملياً لنناقش المسائل المتعلقة بما قالته تلك الأناجيل عن قيامة المسيح بعد موت دام ثلاثة أيام وليلتين.

في البداية نرى أن الأناجيل اختلفت فيما بينها بالنسبة لدفن يسوع.

فرواية يوحنا تختلف عن روايات بقية الأناجيل في نقاط ثلاث:

١ ـ فحسب يوحنا، فإن الذي تولى دفن يسوع رجلان هما يوسف ونيقو ديموس بينما بقية الأناجيل تقول إن يوسف وحده هو الذي دفنه.

٢ ـ يذكر يوحنا أن يوسف ونيقو ديموس وضعا في الأكفان طيباً ولا تذكر بقية الأناجيل ذلك.

٣ ـ لم يذكر يوحنا أن النساء شهدن عملية الدفن بينما ذكرت ذلك بقية الأناجيل.

أما بالنسبة لقيامة المسيح وظهوره فهناك اختلافات جذرية فيما روته الأناجيل.

فالذين زاروا القبر حسب إنجيل متى هما مريم المجدلية ومريم الأخرى، بينما مرقص يقول إن الذين زاروا القبر مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة، بينما لوقا يقول نساء وأناس، ويوحنا يقول مريم المجدلية.

واختلفت الأناجيل في من رأوه، فمتى يقول شاهدوا ملاكاً، ومرقص يقول شاهدوا شاباً، ولوقا يقول شاهدوا رجلين، ويوحنا يقول شاهدوا ملاكين.

والذي أخبر التلاميذ بظهور المسيح حسب متى مريم المجدلية ومريم الأخرى وحسب مرقص مريم المجدلية ثم التلميذان وحسب لوقا التلميذان وحسب يوحنا مريم.

وقد ظهر المسيح للتلاميذ حسب متى في الجليل وحسب مرقص في الجليل وحسب لوقا في القدس وحسب يوحنا في القدس والجليل. وقد ظهر مرة واحدة حسب متى ولوقا ومرقص وثلاث مرات حسب يوحنا.

إن ذلك يعني أن لا ثقة برواية من الروايات مما يؤكد أن كل العملية لا وجود لها على أرض الواقع.

ومثل هذا الاختلاف في قصة واحدة عن مقام واحد كذب لا شك فيه ولا يمكن أن يقع من معصومين. ثم في هذه القصة قول مرقص عن المسيح إنه بعد موته قبّح كفر تلاميذه وقسوة قلوبهم. فإذا شهد المسيح على تلاميذه بعد رفعه بالكفر وقسوة القلوب فكيف يجوز أخذ الدين عنهم. أم كيف يجوز أن يعطي الإله مفاتيح السموات ويولي منزلة التحريم والتحليل كافراً قاسي القلب. ثم في هذه القصة أن مريم والتلاميذ كلهم كانوا يلتزمون بعد المسيح صيانة السبت وتعظيمه وترك العمل فيه. ولذلك أُخّر عمل الحنوط إليه حتى دخل يوم الأحد فقد صح يقيناً أن هؤلاء ليسوا على دين المسيح ولا على ما مضى عليه تلاميذه بل على دين آخر.[1]

وفي صعوده إلى السماء غموض وتناقض، وقد ذكر ذلك الصعود لوقا

---

(١) ابن حزم الأندلسي: الفصل بين الملل والأهواء والنحل، المجلد ٢ صفحة ١٣١ ـ ١٣٢.

ومرقص دون سواهما وأقسما بأغلظ الأيمان أن ذلك كله جرى أمام كل التلاميذ الأحد عشر. بينما نرى ذلك حسب رواية لوقا ومرقص نرى أن القرآن الكريم ينفي أن يكون اليهود قد قتلوه أساساً فقد رفعه الله إلى السماء حياً يقول تعالى:

﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء/ ١٥٨].

فمن ذلك كله لا نجد شاهداً واحداً من الرجال ولا من النساء سواء أكان موافقاً للمسيح أو منافياً له قد شاهد المسيح وهو في القبر، وشاهده يخرج منه وإنما يقول الذين يزعمون أنهم شاهدوه إنهم رأوه خارجاً من القبر وهو يشهد لأهل الإسلام أن الذي قُتل سواه وأما هو فقد ظل سليماً معافى مبرأً من الوقوع في أيدي أعدائه.[1]

بعد ذلك، لابد أن نتوقف عند بعض الآيات القرآنية لنستدرك ما قد يسبب بعض الإشكالات لبعض العقول.

فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٥].

فما معنى قوله تعالى: إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا؟

ظاهر الآية يقول إن الله سبحانه أمات المسيح ثم رفعه إلى السماء فما رأي الإسلام في ذلك؟

ففي قوله متوفيك فيه أقوال كثيرة وقال البيضاوي إني متوفيك أي مستوفي أجلك ومؤخرك إلى أجلك المسمى عاصماً إياك من قتلهم أو قابضك من الأرض أو متوفيك نائماً إذ رُوي أنه رُفع نائماً أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج

---

(١) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص٤٩٤.

إلى عالم الملكوت. وقد قيل أن في الكلام تقديماً وتأخيراً والأصل رافعك إلي ومتوفيك لأنه رفع إلى السماء ثم يتوفى بعد ذلك. وقيل رافعك إلي إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي.[1]

ومع كل ذلك يبرز سؤال، عندما رفع الله السيد المسيح إلى السماء هل مات أم بقي حياً؟ وإذا بقي حياً، فهل يمكن لإنسان أن يعيش ألفي سنة أو يعيش إلى يوم يعود مرة أخرى إلى الأرض؟

والجواب، أن من يأخذ بظاهر الآية (إني متوفيك ورافعك إلي)، تعني أن الله سبحانه قد توفّى المسيح وفاة عادية ليدحض زعم اليهود بأنهم قتلوه. والموت سنّة إلهية تجري على كافة البشر إن كانوا أنبياء أو غير أنبياء. فقد يكون المسيح قد مات ثم رفعه الله إليه جسداً وروحاً بواسطة ملائكته.

وقد يكون معنى متوفيك بالموت الأصغر وهو النوم ثم رفعه الله إليه وأُوقظ في السماء. وقد يكون قد أنامه الله حتى يعود كما يُروى قبل يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة/ ١٧].

ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة/ ١١٧].

فقوله: فلما توفيتني يعني قبضتني بالرفع إلى السماء والتوفي أخذ الشيء وافياً أي كاملاً والموت نوع منه قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي

---

(١) محمد خير الدرة: إعراب القرآن وبيانه، مجلد ٢ صفحة ١٤٣.

لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ...﴾.

وفي القرآن الكريم شواهد على الموت الطويل دون بلاء الجسد، ومثل ذلك قصة أهل الكهف وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه. يقول تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف/ ١٨]. ويقول تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف/ ٢٥]. ويقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف/ ١٩].

يقول تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٩].

إن كل ذلك يدخل في باب المعجزة الإلهية فهو الذي خلق وهو الذي يميت وهو الذي يحيي من جديد. ولن يُعجزَ الله سبحانه رفعُ المسيح أو موتُه ثم إحياؤه وبعثُه من جديد.

الإيمان بعودة المسيح إلى الأرض

من أساسيات الفكر المسيحي الإيمان بعودة المسيح قبل انقضاء الحياة والقيامة وقد استند هذا الفكر على بعض الأقوال التي جاءت بها الأناجيل وعلى بعض نبوءات بعض أنبياء التوراة وخاصة إشعياء.

وقد استند اليهود أيضاً على تلك النبوءات وقالوا بعودة المسيح. حتى أن بعض فرقهم الدينية ما تزال إلى اليوم تنتظر عودة المسيح الذي تصوروه وهي حسب صفاتهم وأوصافهم له يختلف عن المسيح ابن مريم اختلافاً جذرياً.

أما المسيحيون فإنهم يربطون عودة المسيح إلى الأرض بمسألة الألوهية ارتباطاً وثيقاً. إلا أن إنجيل برنابا فإنه يؤكد قول المسيح بأنه باق حياً حتى قبيل انقضاء العالم جاء في برنابا: (ووبخ كثيرين من الذين اعتقدوا أنه مات قائلاً: أتحسبونني أنا والله كاذبين لأن الله وهبني أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم كما قد قلت لكم). الفصل ٢٢١.

وحسب ما قاله الرسل بعد المسيح هو ذاك الذي سيأتي وعند مجيئه سيضع نهاية للتاريخ رؤيا ٢٢ : ٢ ولعل أكثر ما يتضح عن عودة المسيح ما نجده في رسالتين إلى أهل سالونيكي. فيأتي في الرسالة الأولى: (لأن الرب نفسه عند الصيحة وصوت رئيس الملائكة والنفخ في بوق الله سينزل من السماء فيقوم أولاً الذين ماتوا في المسيح ثم نرفع معهم في الغمام، ونحن الأحياء الباقين لملاقاة المسيح في الجو فنكون مع الرب دائماً وأبداً). سالونيكي ٤ : ١٦ ـ ١٧.

ومع وجود فقرات كثيرة تشير إلى بقاء المسيح إلى ما قبل انقضاء الحياة

وعودته إلى الأرض إلا أن فكرة هـذه العـودة لـم يعدلهـا دور تقريباً في الوجدان المسيحي خاصة الكاثوليكي والأرثوذكسي فهـو ينظر إليهـا على أنـه حـدث بعيد حتى ليهمل كل اهتمام به.[1]

ومن الجمل التي وردت في الأناجيل حول هذه المسألة ما جـاء في إنجيـل متى: (وإذا جاء ابن الإنسان في مجده تواكبه جميع الملائكة يجلس على عـرش مجده، وتحشر لديه الأمم فيفصل بعضهم عن بعـض كمـا يفصـل الراعـي النعـاج عن الجداء). متى ٢٥: ٣١ـ٣٣.

وجاء في إنجيل مرقص: (وفي تلك الأيام بعد هذه الشدة تظلـم الشـمس، والقمر لا يرسل ضوءه وتتساقط النجوم من السـماء وتـتزعزع القـوات فـي السـماء وحينئذ يرى الناس ابن الإنسان آتياً في الغمام في تمـام العـزة والجـلال). مرقص ١٣: ٢٤ـ٢٧.

أما لوقـا فيقـول: (فستظهر علامـات فـي الشـمس والقمـر والنجـوم وينـال الأمم كرب في الأرض وقلق من عجيج البحر وجيشانه. وتزهق نفوس الناس من الخوف ومن توقع ما ينزل بالعالم لأن أجرام السـماء تـتزعزع وحينئـذ يـرى النـاس ابن الإنسان آتياً في الغمام في تمام العزة والجلال) لوقا ٢١: ٢٥ـ٢٧.

والملاحظ في هذه النصوص أن كتبة الأناجيل خلطوا بيـن أمريـن فـي غايـة الخطورة الأول هو استنادهم كلياً على ما جاء في التوراة وخاصـة إشـعياء وبعـض المزامير. الثاني افتراض أن المسيح هو الله وأنه سيأتي يـوم القيامـة مـع الملائكـة من السماء إلى الأرض.

والواضـح أن أوصـاف مـا يحـل فـي الكـون هـي أوصـاف يـوم القيامـة كمـا

---

(١) رومانو كواردينى: قيامة المسيح، ترجمة الأب جرجس المارديني ص ٢٣.

رأيناها في بعض أسفار التوراة، وليس يوم يأتي المسيح إلى الأرض بعيداً عن يوم القيامة.

وقد تطور مفهوم عودة المسيح عند بعض المذاهب المسيحية المستحدثة كالمذهب البروتستانتي حتى بلغت تفسيراتهم حداً يتجاوز الأسطورة.

فمارتن لوثر نشر كتاباً عام ١٥٢٣ باسم (عيسى وُلد يهودياً) قال فيه إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. وقد تسربت الأدبيات اليهودية إلى صميم العقيدة المسيحية ومنها ربط الإيمان المسيحي بعودة المسيح بقيام دولة صهيون أي بإعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم. فترى البروتستانتية إن عودة اليهود إلى أرض فلسطين تحقق وعد الله وأن هذه العودة ضرورية لعودة المسيح وقيام مملكته مدة ألف عام (الألفية).

وقد برزت دعوة الحركة الإصلاحية البروتستانتية في بريطانيا أول ما ظهرت مع تقديم مذكرة من قبل اللاهوتيين (جوانا وألينزر كارترايت) إلى الحكومة البريطانية يدعوان فيها إلى مساعدة اليهود للرحيل إلى فلسطين لإقامة دولة على أرضها. وتعتبر المذكرة أول تعبير عن التحول من الإيمان بأن عودة المسيح تحتم أن تسبقها عودة اليهود إلى فلسطين وأن العودتين لن تتحققا إلا بتدخل إلهي إلى الإيمان بأن العودتين عودة اليهود وعودة المسيح يمكن أن تتحققا بعمل البشر.

ويرى زعماء المسيحية البروتستانتية أن قيام الكيان الصهيوني وإعادة بناء الهيكل وبناء ما يسمى بإسرائيل الكبرى شرط لعودة المسيح ليحكم الأرض ألف سنة في جنة أرضية تنعم بالسلام المطلق ويقول في ذلك فولويل زعيم منظمة الأكثرية الأخلاقية الأمريكية وأحد أقطاب حتمية الدمار النووي هر مجدون (أنت

وأنا نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يأتي يوم يجلس الإله المسيح على عرش داود في القدس. إن هذا اليوم مقبل وستكون أنت وأنا جزءاً منه).

ويرى الفكر المسيحي الأرثوذكسي أن علامات عدة سوف تظهر قبل عودة المسيح وهذه العلامات يذكرونها في كتبهم وتعاليمهم.

ومنها على حسب قولهم ترك الديانة المسيحية وإتباع ديانة أخرى بسبب الاضطهادات والإغراءات وغيرها أو اتباع مذاهب فكرية أو فلسفات مضلة تبعد تابعيها عن تعلقهم بالرب بل تقطع الصلة بينهم وبين المسيح. والارتداد عن المسيحية يكون أيضاً بترك الحياة الروحية مع الله كلية بحيث لا يحمل المسيحي من المسيحية إلا اسمها فقط. وهناك علامات تظهر في الشمس والكواكب وعلى الأرض.

ويرون أن العلامة الأخيرة التي تسبق مجيء المسيح هي في السماء ومن السماء ويسمونها علامة الصليب المحيي الذي من قبله انهبط الجحيم. هذا هو صليب الرب، المجد يظهر بنور عجيب في السماء ويعلن انكسار الظلمة وقواتها أمام نوره العجيب. ويعتقدون أن علامة الصليب ستظهر في السماء ويراها الناس.

وإذا تصفحنا آيات القرآن الكريم فإننا لا نجد أي منها يشير إلى ما يسمى عودة المسيح إلى الأرض. على الرغم من أن عدة تفسيرات وقفت عند قوله تعالى:

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم/ ٣٣]. وقالوا طالما أن المسيح رفع حياً إلى السماء فإنه لم يمت وهذا يعني أنه سيعود إلى الأرض ثم يموت فيها ثم يبعث حياً كباقي البشر.

وهناك رأي ليس عليه إجماع بين المسلمين يقول بعودة عيسى عليه السلام

في آخر الزمان (حكماً عدلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ثم تقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون) البخاري ومسلم وأبو داود الترمذي.

وقد حاول علماء المسلمين التوفيق بين ختم النبوة ونزول المسيح فقالوا إن كون محمد ﷺ آخر الأنبياء يعني أنه لا يأتي بعده نبي جديد. وعيسى عليه السلام كان نبياً قبل محمد ﷺ وقالوا: إن عيسى عليه السلام حين يعود لا يأتي بوحي جديد ولا بشريعة جديدة بل يحكم بشريعة محمد ﷺ وبذلك البيان لا يكون هناك تناقض بين عودة المسيح عليه السلام وختم النبوة بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد وردت بعض الأحاديث النبوية التي تشير إلى عودة المسيح عليه السلام. ومنها حديث أخرجه أبو داود بقوله (ليس بيني وبينه ـ يعني عيسى عليه السلام ـ نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه السلمون).

ويلاحظ أيضاً على أحاديث نزول المسيح عليه السلام تلتقي كثيراً مع روايات بعض الأناجيل ففي صحيح مسلم نجد أن المسيح عليه السلام ينزل واضعاً كفيه على أجنحة ملكين.

وفي إنجيل متى ٢٥ : ٣١ نقرأ (ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع

الملائكة القديسين معه).

وفي سنن ابن ماجه نجد أن المسيح يحقق العدل في الأرض حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً وفي سفر إشعياء ٤٢ : ١ ــ ٤ نقرأ حول المسيح المنتظر: (هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم. . إلى الأمان يخرج الحق ولا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته).

ونقرأ في سنن ابن ماجه وغيره أن الحرب تضع أوزارها بين الناس في عهد المسيح بعد نزوله ويعم الأرض السلام ليس بين البشر فحسب بل في عالم الحيوان أيضاً: (وترفع الشحناء والبغضاء وتنزع حمّة ـ سمّ ـ كل ذي حمة حتى يُدخل الوليد يده في الحية فلا تضره وتغرّ الوليدة الأسد فلا يضرها ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإنسان من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله وتضع الحرب أوزارها).

وفي سفر إشعياء ٢ : ٤ نقرأ حول المسيح المنتظر (فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد).

كما نقرأ في سفر إشعياء ١١ : ١ ـ ٨ حول المسيح المنتظر (ويخرج قضيب من جذع يسّن وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب وروح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض. ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه ويكون البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقوية فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمسمّن معاً

وصبي صغير يسوقهما والبقرة والدبة ترعيان تربض أولادهما معاً والأسد كالبقر يأكل تبناً ويلعب الرضيع على سرب الصل ويمد الفطيم يده على حجر الافعوان).

ونقرأ في مسلم (إن المسيح عليه السلام يقتل الكفار بريح نفسه فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات).

وفي سفر إشعياء ١١ : ٤ (ويميت المنافق بنفخة شفتيه).

وقد رأى كل من الشيخ محمد عبده ورشيد رضا والإمام محمد أبو زهرة والأستاذ عبد الكريم الخطيب. أن الأحاديث التي ذكرت نزول المسيح هي آحاد متعلق بأمر اعتقادي لأنه من أمور الغيب وقالوا إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها ويرى الشيخ رشيد رضا أن عقيدة نزول المسيح قد تسربت إلى الحديث عن طريق النصارى والإمام أبو زهرة يقول إن أحاديث نزول المسيح بالإضافة إلى أنها أحاديث آحاد لم تشتهر قط إلا بعد القرون الثلاثة الأولى.

وأعتقد أن هناك رأيا آخر قد نتوصل إليه من خلال دراستنا لتغيرات طرأت على كتابة الأناجيل وحتى العهد القديم وهذا الرأي يقول قد يكون الذين طوروا في كتابة الأناجيل والعهد القديم اطّلعوا على أحاديث رسول الله ﷺ ونقلوها إلى كتبهم ونسبوها لهم.

وهذا الاتجاه الأخير يستند في رأيه على دراسة معمقة لطبيعة اللغة في الإنجيل والتوراة ومقارنة كافة النسخ والترجمات التي صدرت منذ زمن بعيد وحتى الآن بما دُرس من تفسيرات لآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

وبالمحصلة فإن عودة المسيح عليه السلام تشكل أمراً محسوماً لدى

الكثيرين من المسلمين كما هي مسألة يقين عند المسيحيين وكذلك عند اليهود على الرغم من الاختلاف الكبير بين المسيحية واليهودية والإسلام في طبيعة المسيح وهويته.

لكن الأخطر في كافة هذه الاتجاهات ما طرحته الصهيونية الإنجيلية البروتستانتية من تفسيرات لنصوص ما يسمى الكتاب المقدس. حيث ترى البروتستانتية أن المسيح سيعود ليقود المؤمنين في حرب مدمرة ضد الكفار (المسلمين) ويحكم العالم ألف سنة يطلقون عليها الألفية السعيدة. وهذا الاتجاه قوي في أوساط أمريكا تحديداً حيث يضم بين أفراده كثيراً من الزعماء والسياسيين المتنفذين في السياسة الأمريكية.